

جمعية شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم)
المسجلة برقم ٥٨٥ لسنة ١٩٩٤ م
لجنة إحياء التراث

عقيدة الخطيب

وهى عقيدة كل مسلم

يا راغبًا فى الجَنَّةِ اقرأ كتاب الجُنَّةِ
توحيد أهل السُّنَّةِ واشكر عظيم المِنَّةِ

نظم وشرح

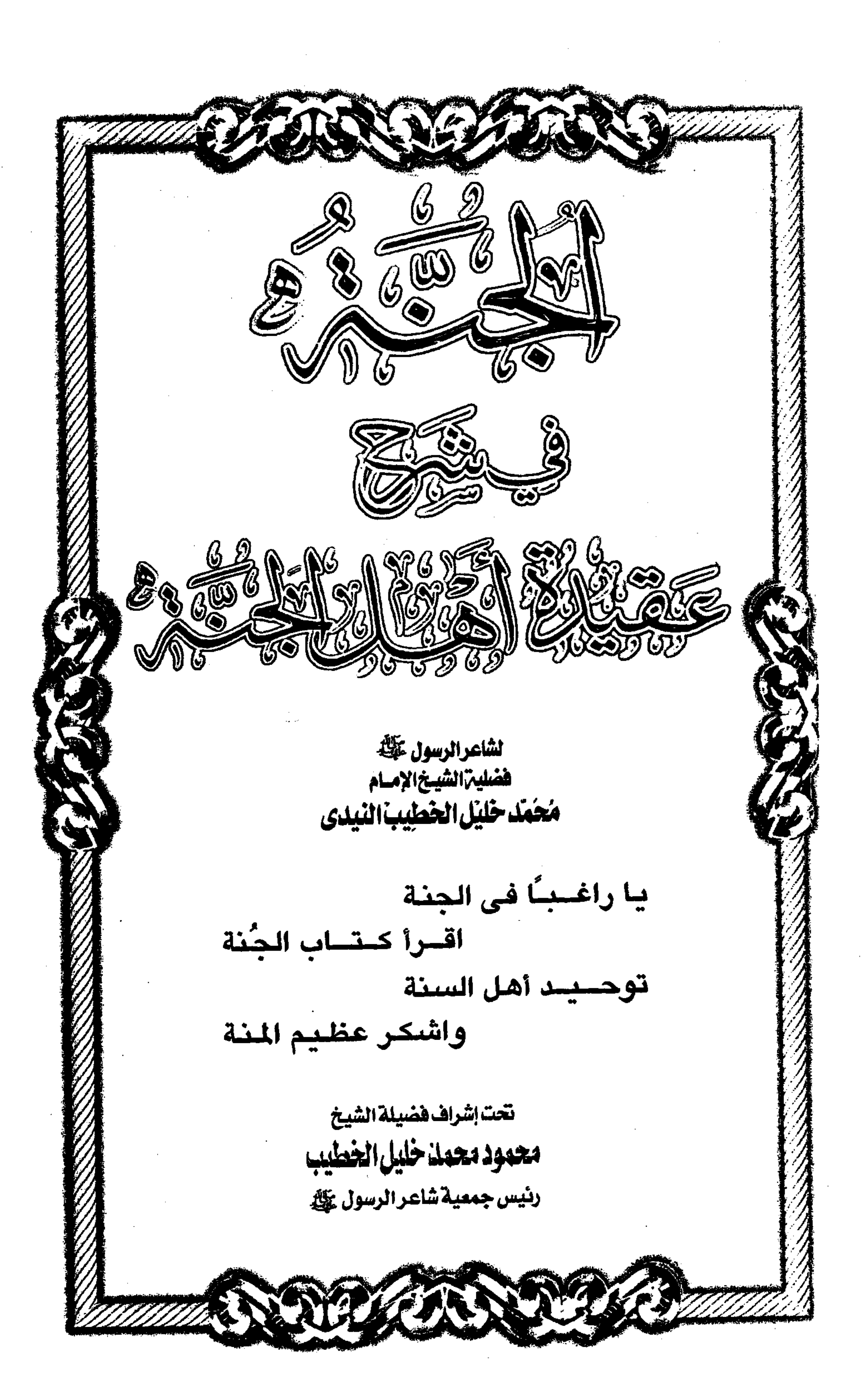
محمد خليل الخطيب النيدى

شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم
(١٩٠٩ م ـ ١٩٨٦ م)

إعداد وإشراف

محمود محمد خليل الخطيب

من علماء الأزهر الشريف



الجنة في شرح عقيدة أهل الجنة

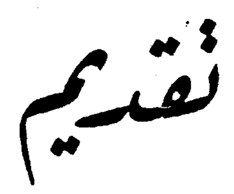
لشاعر الرسول ﷺ
فضيلة الشيخ الإمام
مُحمّد خليل الخطيب النيدى

يا راغبـاً فى الجنة
اقرأ كتاب الجُنة
توحيد أهل السنة
واشكر عظيم المنة

تحت إشراف فضيلة الشيخ
محمود محمد خليل الخطيب
رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه (عقيدة الخطيب) المسماة: (الجُنة فى شرح عقيدة أهل الجنة) وهى كما قال عنها ناظمها وشارحها فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب رضي الله عنه.

(هى عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا يفتح الله إلا على معتقدها).

كما رغّب فى حفظها وفهمها، لأنها قد حوت العقيدة الإسلامية كاملة، وإذا أدرك المسلم ما فيها كان عالمًا بما يقربه من ربه فيحرص على فعله، كمايكون أكثر حرصًا على الفرار من كل ما يبعده عن مولاه وهذا هو العلم النافع الذى لا غنى لمسلم عنه ولذلك عنى به الشيخ الإمام رضى الله عنه وأرضاه.

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

الشيخ الإمام (محمد خليل الخطيب)

كانت ولادة الشيخ غفر الله له فى قرية من صعيد مصر تسمى (نيدة) إحدى قرى مركز (أخميم) التابع لمحافظة سوهاج وكان ذلك فى اليوم التاسع من شهر مارس سنة ألف وتسعمائة وتسع للميلاد وينتهى نسبه إلى رسول الله ﷺ، وأنعم الله عليه بحفظ القرآن الكريم فى طفولته، والتحق بمعهد أسيوط الدينى وحصل على شهادة الابتدائية سنة 1924 م ثم حصل على الثانوية الأزهرية سنة 1928م، وشهادة العالمية سنة 1933 م وشهادة التخصص (الدكتوره الحالية) فى اللغة العربية سنة 1936م.

مـؤلفـاتـه:

لقد أثرى رَحِمَهُ اللَّهُ المكتبة الإسلامية بمؤلفاته المتنوعة، فلقد صنف فى الفقه والحديث واللغة والشعر والقصص والتفسير والتراجم ولعل ما ساعد على ذلك ملكته المتقدة وذوقه الرفيع وصبره الجميل، فكان مثالاً للعالم والأديب، والباحث المتئد والمنقب الصبور - فهل أتاك نبأ كتابه الفريد (**إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام**) الذى زين المكتبة الإسلامية بما حواه من خطب رسول الله ﷺ كاملة ومرتبة ومصححة وأعده الشيخ الإمام فى مدة خمسة عشر عامًا. وهل وصل إلى مسامعك خبر كتابه القيم: (**غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب**) الذى أعده الشيخ فى عدة سنوات غاص خلالها فى بطون أمهات كتب الأدب وغيرها من كتب العرب بحثًا عن شعر أبى طالب حتى جمع شتاته، ورتب أبياته، ووضح غامضه، وبين مشكله، ساعده على ذلك ثقافته الواسعة، وزاده الكثير من مفردات اللغة، ولا عجب فهو شاعر كبير؛ له فى الشعر باع وأى باع، ولو اطلعت على ديوان شعره (سيطبع قريبًا إن شاء الله) لتملكك العجب إذ أن الشيخ الإمام مع أنه أوقف شعره على الرسول ﷺ إلا أنه كان يعرض كثيرًا من القضايا التى تتصل بالإسلام من قريب أو بعيد بطريقة تخاطب عقلك، ولا تعارض وجدانك، ويرد على كل تساؤل فى نفسك فلا يسعك إلا التسليم بما قال، إذ ليس ما قاله إلا عين ما جاء به الشرع الحنيف، فكلامه كله لا يخرج عن آية أو حديث أو ما تواتر عن الأئمة الأعلام. أضف إلى ذلك أن لكتاباته مشربًا خاصًا وطريقة لم يحد عنها أبدًا. فما وافق الشرع كان الشيخ الإمام ناقلاً له

موضحًا إياه، وما خالف الشريعة ضرب به عرض الحائط ونفر منه -فهو لسان حق يدعو إلى الله على بصيرة.

وإن تعجب فعجب أمر تمكن الشيخ الإمام فى اللغة إذ تمكن منها أيما تمكن وآية ذلك (**ألفية الخطيب فى فن الصرف**) التى نظمها ثم شرحها شرحًا وافيًا لا يدرك قيمته إلا أئمة اللغة العربية وفرسانها.

وإن أنس فلا أنس كتابه القيم: (**القصص الحق لسيد الخلق**) الذى جمع فيه القصص النبوى الكريم ثم شرحه فى عدة أجزاء وعلق عليها تعليقًا علميًا بارعًا، وهذا كله يؤكد مواهبه المتعددة التى تجسدت فى شخص واحد هو شخصه الكريم رضي الله عنه، ومهما يكن من شىء فإن هذه المصنفات ما هى إلا غيض من فيض وقليل من كثير إذ لمولانا الشيخ الإمام من الكتب القيمة ما يماثل سنوات عمره المبارك.

الشيخ والتصوف:

ولفضيلته مدرسة كبرى فى التصوف أعادت لنا الصورة المضيئة النقية لما كان عليها المسلمون الأوائل؛ أركانها العلم والذكر والقدوة الحسنة، ويسير عليها الآلاف من تلامذته المخلصين وما زالوا ينقلونها إلى كل مكان.

كان غفر الله لنا وله مقتفيًا آثار النبى ﷺ وأصحابه الكرام لا يخرج عما كانوا عليه، وقصده إحياء سنته واقامة طريقته وتوضيح منهجه، الله غايته ووجهته، والقرآن الكريم والسنة النبوية زاده وعدته، ومحبته للنبى ﷺ هى روحه وسر قوته.

الشيخ والكرامات:

كرامات الشيخ فى كل يوم مئات بل مع كل نفس للإمام الراحل كرامة ولن أتعرض هنا للحديث عنها فهى أمور عادية جدًا لشيخنا الإمام ومن كثرتها واعتيادنا عليها كنا لا نلتفت اليها، وهذه هى رغبة الشيخ حتى تخيلنا أنه لا يعتقد فيها ولم يكن هناك أحد يجرؤ على التحدث عنها فى مجلسه فهو يفصل تمامًا بين حياته الخاصة مع ربه وحياته بين الناس كعلم من أعلام الشريعة يقف عند نصوصها ويسير مع روحها فلا يتجاوز ذلك ولو كلفه حياته، ودائمًا يسأل الله حسن الخاتمة ويطلب من الله المعونة والمغفرة.

ومن أراد المزيد من المعرفة عن روائع الشيخ الخطيب غفر الله له فعليه قراءة كتاب (**نفحة القبول فى سيرة شاعر الرسول ﷺ**) [1] فهى صفحات مباركات علها تفى بما يريد القارىء معرفته فى مختلف جوانب حياته المباركة الروحية منها والأدبية والعلمية.

وفـــاتـــه:

استمر الشيخ الإمام فى نشر تعاليم الإسلام بين الناس بالقول والعمل والعطاء حتى لقى ربه عن سبعة وسبعين عامًا عشية يوم الجمعة الموافق الحادى والعشرين من فبراير سنة 1986م وكان مثواه المبارك[2] بمسجده العامر بمدينة طنطا حيث أسس طريقته وكانت إقامته الكريمة الحافلة بكل أوجه الخير، غفر الله لشيخنا الجليل وجزاه عنا خير الجزاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

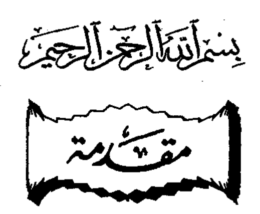
1990/1/20



(1) كتاب نفحة القبول لسيدنا الشيخ محمود محمد خليل الخطيب الخليفة الأول لسيدنا الشيخ الإمام ووارث علمه ومناقبه الكريمة وشارح لبعض كتبه المباركة.

(2) الضريح المبارك بطنطا بمسجد المحافظة بشارع البحر قرب مبنى المحافظة.

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين- الرحمن الرحيم - مالك يوم الدين - إياك نعبد وإياك نستعين - اهدنا الصراط المستقيم. والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد.. لما مَنَّ الله عليّ بتأليف عقيدتي ـ عقيدة الخطيب؛ مع قلة مبانيها، وكثرة معانيها، واحتياج العامة والخاصة إلى ما فيها - شرح صدرى إلى شرح يجاريها فى الاختصار، ويكشف عن مخدراتها الأستار ويبدى أدلتها من الكتاب والسنة للأنظار حتى تعم فائدتها الصغار والكبار، وقد أطنبت فى ذكر بعض حكَم أركان الإسلام ليشغف بالقيام بها أولو الأحلام، كما أطنبت فى الكلام على الأولياء ليتميز أولياء الرحمن من أولياء الشيطان، ومَنْ سلوكهم إلى جنات النعيم ممَّنْ سلوكهم إلى سواء الجحيم، والله المسئول أن يجعلها مقربة إليه، نافعة يوم العرض عليه، داعية إلى حب الإسلام من اطلع عليها من الأنام، وأن يكافىء من نشرها أو أعان على نشرها بالسلام فى الدنيا ودار السلام إنه الرب القدير وبيده الخير وإليه المصير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

محمد خليل الخطيب النيدى

شاعر الرسول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

جزى الله عنا سيدنا محمداً ﷺ ما هو أهله .

إن الدين عند الله الإسلام

قال محمد الخطيب النيدى الحنفى الأشعرى الجنيدى

الحمد لله على التوحيد للخالق المهيمن الحميد

ودائم الصلاة والسلام على إمام الرسل الكرام

من جاء بالإسلام دين آدم ومن قفاه من هداة العالم

وكلهم نوابه إلى الأمم وسبقهم سبق الجنود من حكم

الدين الإسلامي دين البشر كلهم والأنبياء نوابه ﷺ إلى من قبله من الأمم.

الدين الإسلامي الذي بُعث سيدنا محمد ﷺ مجدداً له، ومزيلاً ما علق به من ضلالات الأمم السابقة أول دين دان الله به خلقه فقد دان به آدم عليه السلام . ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: 19]. وقد أوحاه الله إلى المرسلين الأولين رحمة للعالمين . قال الله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ! كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ! اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ! وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: 13:15].

فأنت ترى من هذه الآيات أن الله لم يرسل سيدنا محمداً ﷺ بدين جديد لأمة

مخصوصة، ولكن ليصلح كل الأديان السابقة مما طرأ عليها من مغالاة المغالين، وزيادة المغرضين، وجهل الشارحين - ويهدى الأمم للدين الأول الذى أرسل الله به سائر المرسلين. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: 139:135]. فالإسلام أن يؤمن الإنسان بجميع رسل الله وأن يؤمن بسائر كتبه إجمالاً بأى لغة وفى أى زمان.

وقد كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأولاده مسلمين -قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 130-133].

ولقد طلب يوسف عليه السلام من الله حين مكن له فى الأرض أن يتوفاه مسلما. قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

وكان نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثانى مسلماً. قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 72].

وكان موسى وقومه الذين آمنوا معه مسلمين- قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85,84].

وكان عيسى والحواريون الذين آمنوا معه مسلمين. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111].

فإذا اعتنق أهل الأديان الأخرى الإسلام كانوا مطيعين لربهم موفين بعهد الله القديم الذى أخذه على الأنبياء -قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

فالإسلام هو دين الإنسانية العام الخالد، وجميع النبوات والرسالات السابقة على رسالة النبى ﷺ كانت إعداداً لبنى الإنسان أن يتلقوا هذه الرسالة الشاملة الكاملة التى ختمت بها الرسالات. قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]. وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ [سبأ: 28]، ولقد عم النوع الإنسانى بنصحه وإرشاده لأنه دين عام -قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1].

وما أطنبت فى هذا المقام إلا لأذكر القراء الكرام بالآيات التى جاءت فى القرآن بأن الإسلام دين الإنسانية الخالد العام ودين الأنبياء المكرمين والرسل السالفين، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

دعا لما تدعو له الأحلام ... وفيه ما تصبو له الأنام

دعا النبى ﷺ إلى ما تذعن له العقول السليمة، ويحن إليه البشر كلهم لتكفله بما يصلحهم فى الدنيا، وينجيهم فى الآخرة، وفى صياغة أخرى:

دعا الورى جميعهم إليه ... وفيه ما راحتهم عليه

فلا يختص بحكم من أحكامه بعض الناس دون بعض- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]. وقال ابن القيم: رسالة الرسول ﷺ لها عمومان محفوظان لا يتطرق إليها تخصيص، عموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه الناس فى أصول شريعتهم وفروعها، وعموم بالنسبة إلى المرسل إليهم فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها، ولا يتم الإيمان إلا بإثبات عموم رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذى تحتاج إليه الأمة فى علومها وأعمالها عما جاء به، وقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحه فى السماء إلا ذكر للأمة منه علما.

أما عمومها بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه الناس فقد كان ﷺ يعلمهم كل شيء حتى آداب التخلى وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب والركوب والنزول والسفر والإقامة والصمت والكلام والعزلة والخلطة والغنى والفقر والصحة والمرض وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسى والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه، حتى كأنهم يشاهدون ذلك مشاهدة العين، وعرفهم معبودهم وإلاههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه بأوصاف كماله وجمال نعوته، وعرفهم الأنبياء وما جرى عليهم من أممهم حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرف به نبى لأمته قبله- وعرفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكون بعده فى البرزخ، وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يُعَرِّف به نبى غيره، وكذلك عرفهم ﷺ مكايد الحروب ولقاء العدو، وطرق النصر والظفر- ما لو علموه وعملوا به لم يقم لهم عدو أبدا.



أركان الإسلام

وما لمن لم يأت بالإسلام	مولاه في أخراه من سلام
أركانه الشهادة الصلاة	والحج، والصيام والزكاة

قواعد الإسلام التى قام عليها بنيانه خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. ولأعلقن عليها على هذا الترتيب كما جاءت فى لحديث لا كما فى البيت فإنى أخرت الزكاة لضرورة الشعر.

أما شهادة أن لا إله إلا الله: فأن تقر وتذعن بلسانك وقلبك أنه لا معبود بحق إلا الله. والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، لا يلحقه زوال، خالق كل شيء. (الإله) ما اتخذ معبوداً عند عابده، والعبادة: تمام الطاعة والخضوع مع اعتقاد نفع المعبود وضره بغير الأسباب الظاهرة. وقد فطر الله العباد معترفين بألوهيته مقرين بربوبيته قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: 172-173].

وأما الجانب الثانى من الركن الأول وهو شهادة أن محمداً رسول الله فهو أن تذعن بقلبك وتنطق بلسانك أن الله الذى آمنت به أرسله كافة للناس بشيراً للمطيعين بجنته ونذيراً للمخالفين بناره وعقوبته.

ومن نتائج هذه الشهادة أن توقر ذلك الرسول وتطيعه فى كل أمر به حسب استطاعتك وأن تحبه أكثر من حبك نفسك، وأن تدافع عن دينه ما تأتى لك الدفاع، وأن تدعو إليه ما استطعت، وأن تجعل قوله فوق كل قول، وهديه فوق كل هدى، وأن لا تترك ما جاء به من البينات لهوى نفسك أو هوى أحد من الناس.

الله تعالى لم يرسل هذا الرسول الكريم مصادفة بل أعده لهذه الرسالة منذ قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] وأعد له الأصلاب الطاهرة،

والأرحام النقية، ولم ينقسم بنو آدم فرقتين إلا كان فى خيرهما حتى وضعته أمه فى أتم خلق وأكمله ﷺ.

ومن فوائد ذكر لا إله إلا الله باللسان:

استعمال أشرف الآلات بأشرف الكلمات وهى الاعتراف الحق بعبوديتك لمن خلقك مجانًا ورزقك مجانًا ولم يستعبدك مجانًا، بل كم وهبك فى الدنيا إحسانًا، وأعد لك فى الآخرة جنانا ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:18]، ومنها تعميم النور عند ظلمة القبور- قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور:35]. ولا إله إلا الله نور لكنه فى الغيب. فإذا رفع حجاب الغيب ظهر نوره، قال الله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد:12] وقال مخبراً عن المنافقين ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:13]. فنور هذه الكلمة شعار المؤمنين يوم القيامة. ومنها تجديد عهد الإيمان ؛ فكلما ذكر هذه الكلمة نال ثواب أداء المفروض، ولو تركها لم تلحقه عقوبة الترك. (ثم إذا قالها من كفر بالله ألف سنة ـ لم يبق من طغيانه شيء) فإذا قالها مؤمن أولى أن لا يبقى من عصيانه فى ديوانه شيء فما يصلح كفارة للشرك فأولى أن يصلح كفارة للمعاصى فنستودع الله تعالى هذه الشهادة وهو خير حافظًا.



إقـام الصـــلاة

وأما الصلاة فهى عماد الدين فمن أقامها فقد أقامه ومن هدمها فقد هدمه، وهى فى كل الملل رياضة روحية ولكنها فى الإسلام جمعت بين رياضة الروح والبدن؛ فرفع اليدين عند الإحرام والركوع والرفع منه والسجود كلها رياضة للبدن تكسب أعضاءه قوة ومرونة والسلام نفسه حين يتجه المصلى عند الخروج من الصلاة إلى يمينه ويساره مسلمًا ـ رياضة لعضلات العنق وتنبيه للغدة الدرقية الصماء التى هى ينبوع النشاط البدنى كله.

ومن محاسن الصلاة أن القيام فيها تعظيم لله إذ من عظم من هو فوقه لا يستجيز إلا القيام بين يديه: إن كان هو قاعداً فلا يقعد إلا بأمره، وإن كان قائمًا فلا يستجيز إلا القيام معه، والله تعالى قائم على كل نفس بما كسبت فيجب أن يقوم بين يديه خاشعًا ضارعًا ذليلاً خائفًا راجيًا منيبًا مبتهلاً واضعًا يده اليمنى على اليسرى مشيراً إلى أنه كف يده عن المكاسب كلها فلا حول ولا حيلة ملازمًا باب ربه راجيًا ثوابه خائفًا عقابه.

ويشير بقراءته إلى أنه متمسك بكتاب الله وهو الحبل المتين والنور المبين، والشافع المكين فكأنه يقول يارب لا أخاطبك إلا بكتابك الذى بدأ منك فإنه منك وإليك يعود، وحاول فيها أن يكون لسانك مترجمًا عن قلبك بأن يسبق قلبُك إلى المعانى ثم يترجمها لسانك بالمبانى، وإن لم يتهيأ لك ذلك فانطق بالألفاظ وحرك قلبك بمعانيها واحذر أن يتحرك لسانك وقلبك غافل، ثم اسجد وهو غاية التواضع والخضوع إذ هو وضع أشرف الأعضاء فى أحقر الأشياء تذللاً لذى العزة والكبرياء عساه يتجلى عليك بالرضوان، ويدخلك الجنان وكأنك تقول: هذا منتهى ما يصل به من الذلة عملى فبلغنى بفضلك أملى ولذا جازاه من له العمل بالقرب وهى غاية الأمل ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق:19] وكأن الله يقول لمن أخذ فى الصلاة إذا قام: ادن منى، وإذا قرأ: ادن منى، وإذا ركع: أدن منى، وإذا سجد اقترب فما وراء القرب منا أمل. ولهذا لا يطلق اسم الصلاة على هذه الجملة إلا مع السجود.

وأما محاسن القعود: فالقعود أجمع للرأى وبه يرفع العبد لربه قصته ويسأله حاجته وكأن الله يقول له: يا عبدى إذا فرغت من الخدمة فسلنا ما يلزمك من

النعمة، ومن بديع لطف الرب اللطيف بعبده الضعيف أنه فى صلاة واحدة يأمره بالقعود مرتين فكأنه يقول: أقعدعبدى فقد تعبت فى خدمتى، فيا ويل من يخدم الخلق يقوم بين يديه يوما ولا يقول له أقعد ويقوم بين يدى خالقه دقائق فيقول له أقعد فى حالتين وأخلص فى الأولى ثناءك، واطلب فى الثانية رجاءك تمنح عطاءك.

ثم السلام من الاحرام: إذ بالتكبير أحرم عما سوى الله تعالى وبالسلام تحلل بإذن الله تعالى وكأنه يقول عبدى أنا عن عبادتك غنى وأنت لا تستغنى عن الناس فارجع إليهم وسلم عليهم. غبت عنهم من الدنيا إلى الآخرة إذ الصلاة من الآخرة ومن عاد من سفر سلم على البشر. سلّم عليهم، وأشر إليهم إنى منحتكم فى الصلاة دعائى فلا تتركونى عند بلائى، وأعينونى على رجائى. وبالجملة فالصلاة تالية الإسلام، وعماد الدين، وأمان المسلمين ومستروح العابدين وقرة عين سيد المرسلين. فالله يوفقنا لأدائها كاملة ويمتعنا بأسرارها الشاملة إنه على كل شىء قدير والحمد لله رب العالمين.

ثمرة الصلاة السمو بالنفس فوق شهوات العاجلة، والانتصار على الفتن المضلة. قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج:23:19]، ومن تجدهم يصلون وعند البلاء يجزعون، وعن الفحشاء لا ينتهون فهم أدوها غير مخلصين ولم يكونوا لعظمة ربهم مستحضرين وإلا نهتهم عن الفحشاء وحالت بينهم وبين الجزع عند البلاء كما يقول رب العالمين -ومن أصدق من الله قيلا.

وقد شبه النبى ﷺ الصلاة بينبوع عذب صاف يكون أمام البيت يغتسل منه المرء فى اليوم خمس مرات ثم يسأل صحابته الكرام: هل ترون شيئًا يبقى من درنه بعد ذلك؟ فما كان جوابهم إلا أن قالوا: لا يبقى من درنه شىء، فأخبرهم ﷺ بأن ذلك مثل الصلوات الخمس يطهر الله بهن العبد من أدران الخطايا وأوساخها ولذا كانت أقامة الصلاة من أقوى دعائم الإسلام وأرشد أركانه والله المسئول أن يمن علىّ فى أسرارها بكتاب ويجعله متعة لأولى الألباب وفى صحيفتى يوم الحساب.

إيتـــاء الزكـــاة

الزكاة في الإسلام ركنه الثالث. وهي في اللغة التطهير والنماء والإصلاح والمدح وقد أوجبها الله على عباده في السنة الثانية من الهجرة، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103]، وقال تعالى: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور: 56]، وهي فرض عملي معقول يطيقه المكلفون ولا يشق عليهم أداؤه؛ يسهل على النفس أخراج جزء من أربعين جزءًا من مال حال عليه الحول ولا حاجة أصلية لصاحبه فيه.

وقد أوجب بعض الأديان العشر كاملاً وكان معقولاً في عصور تلك الشرائع إذ كانت الخيرات كثيرة عما يحتاج الناس إليه حتى لقد كانت الشريعة تلزم من تبرع بشيء أن يجعله قربانًا تأكله النار.

ومن فوائد الزكاة أن بها تطهير النفس من دنس البخل ودناءة الشح المذموم عند كل إنسان ولو تبرأ من الأديان؛ فإن الزنديق يستعبده الإحسان (ومن وجد الإحسان قيدًا تقيدا).

ومنها طهارة القلب عن حب الدنيا ببذل اليسير لأن العبد كلما برئت ساحة قلبه عن حب المال نزلت فيها مواهب الله ذي الجلال، وبقدر ما تخرج الدنيا من قلبك تحب ربك. قال الترمذي: إذا استولت محبة الدنيا على القلب قل إشراق نور الإيمان. فالله تعالى فرض الزكاة ليخرج العبد طائفة من ماله فيزداد له إشراق نور الإيمان. قال ﷺ «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**» ومن فوائدها أن بها زيادة المال ونماءه إذ من أمر بالبذل وعد بالخلف والفضل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: 39].

وحكى عن الشيخ أبي منصور الماتريدي أنه كان يقول: يجب على كل أحد من المسلمين أن يعوِّد ولده الجود والسخاء بالموجود كما يعلمه الإيمان بالمعبود؛ فإنه ليس في الدين آفة أعظم من البخل فلو لم يكن في البخل إلا سوء الظن بالله تعالى لكان هلاكًا تامًا. ولو لم يكن في الجود إلا حسن الظن بالله تعالى لكان شرفًا تامًا؛ لأن بالجود تزداد قوة اليقين، واليقين أصل الدين، وبالجود يزداد حبه في قلوب الخلق وكفى به ربحًا، وبالجود يزداد حسن ثنائه على ألسن العالمين. وهذا مطلوب الخلائق أجمعين.

ولقد مر عصر على الإسلام كان المسلم فيه يحمل زكاته على يديه ويمر بها على بيوت المعوزين فيرفضونها بعزة بالغة ويقولون: (لو أتيت بها قبل اليوم تقبلناها أما الآن فقد أغنانا الله من فضله) وإذا تتبعت الأنظمة التى وضعها المصلحون لإسعاد أممهم وإزالة التبرم عنهم لم يجدوا أعدل ولا أصلح ولا أنفع من النظم المقتبسة من الشريعة الإسلامية.

سنوا القوانين التى تبغونها ... ولو انها تربو على المليون

لا تبلغون من النتائج مرضياً ... إلا إذا أُبتم لحكم الدين

وبالجملة ففوائد الزكاة كثيرة، والآثار فيها شهيرة وعسى الله أن يمن بكتاب يتحف فيه الأحباب بما لذ من فوائدها وطاب.



صـــوم رمضـــان

الصوم:

الركن الرابع من أركان الإسلام؛ وهو لغة الإمساك وشرعًا الكف عن تلبية حاجة البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى المغرب امتثالاً لأمر الله وابتغاء لحسن مثوبته.

وغرض الشارع منه:

تقوية الإرادة وتربية التقوى ومراقبة الله وإشعار المكلف بألم الجوع ليعرف نعمة الله الذى أطعمه فيشكرها بإطعام المساكين الذين لا يجدون ما ينفقون.

إن غريزة المحافظة على النوع والذات من أقوى الغرائز وأشدها سيطرة على الإنسان فإذا استطاع أن يخرج من قبضتهما ويهيمن عليهما خضع له غيرهما؛ وإذا استطاع بفضله أن يستغنى عن المباحات اللازمة لحفظ ذاته وبقاء نوعه فكيف لا يستغنى عن المحرمات التى تضر عقله وجسمه مع عدم حاجته إليها. فالصوم أنجع دواء لعلاج الإرادة الضعيفة؛ ولذلك نجد الرسول ﷺ يهدى إليه الشباب الذين لا يجدون مئونة الزواج فيقول: **«يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أحصن للفرج وأغض للبصر، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** ومعنى كونه وجاء أنه يقطع نزوات الشهوة لأن دوام مراقبة الله تعالى يورث الحياء منه، والحياء من الله خير عاصم من الشهوات والفتن، والصوم مراقبة كله لأنه سرّ بين العبد وربه. ويقول ﷺ: **«الصوم جنة»** أى وقاية من الشرور والآثام فإن الصائم فى أثناء صومه يتشبه بالملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون، فالصوم مزكّ للنفوس ومطهر للأرواح ومضعف شأن المادة ويهزم الشهوات ويقوى العزائم والإرادات فتقبل على العبادات والطاعات وتكثر من البر والصدقات وقد علّمنا النبى ﷺ أن نجعل كل همنا فى يوم الصوم طلب الكمال الخُلُقى فقال ﷺ: **«إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يصخب ولا يرفث فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم»** أى أن الصوم يحول بين المسلم وبين مجاراة المعتدين فى عدوانهم. ومن تعوّد الفضيلة شهرًا كاملاً أصبحت له خُلُقًا لو أراد.

من فوائد الصوم:

صحةالجسم لأن المرء كلما خلا باطنه صح ظاهره. قال ﷺ : **«خير الدواء الأزم»** يعنى الحمية. ومنها أن بجوع بطنه شبع حواسه، وبشبع بطنه جوع حواسه فإذا شبعت بطنه جاعت عينه ولسانه ويده وفرجه وإذا جاعت شبعن، ومنها جبر خاطر الفقراء بموافقتهم فى مقاساة الجوع؛ إذ هو فيهم أكثر من الشبع ولا يمكنه إشباع كلهم. وعن بعض الصالحين أنه كان يخرج بإزار واحد فى البرد الشديد فقيل له فى ذلك فقال: أوافق الفقراء فى مقاساة شدة البرد إذ لم أقدر على مواساة كلهم بالكسوة. ومنها أن الباطن إذا خلا من اللقم امتلأ بالحكم، وصفا سره، وأشرق نوره وبره. قال ﷺ : **«ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه»** ومنها اكتساب مكارم الأخلاق بقلة الأكل لأن قلة الأكل من محاسن الأخلاق. لم يحمد أحد على كثرة الأكل، وكم حمد على قلته، وبالجملة فالصيام جم الفوائد كثير العوائد، وحكمه لا تحيط بها هذه العجالة، والله يوفقنى لأضع فيها رسالة وقد استوفيتها فى الكافية الكبرى. والحمد لله.



حج البيت

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام: وهو عبادة تجمع عبادات ، وقربة تجمع قربات وهو سلسلة محكمةتربط شريعة خاتم النبين بشريعة أبيه إبراهيم، ولوحة تمثل فى أذهان الآخرين ذكريات الأولين.

لما رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل أمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج ليأتوا رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق لشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فصدع إبراهيم واستجاب الناس لدعوته ثم انتقل إبراهيم إلى الرفيق الأعلى ولحق به إسماعيل وطال الأمد وبَعُدَ عَهْدُ الناس بالدين والعلم الصحيح ـ وجاء الإسلام ليعيد الدين إلى نصابه وينشل العقل من أوصابه [1] فأقر فريضة الحج بعد أن نفى عنها بدع الجاهلية وخرافاتها، وأوجبها نقية خالصة من لوثاتها.

فالحج فرار إلى الله واعتصام به وانصراف إلى حين من حظوظ الدنيا وفتن الشيطان. ألم تر إلى الرجل إذا طارده الأعداء وضاقت فى وجهه السبل ـ فر إلى حاكمه وطاف بقصره ولأذ به ليحصنه من عدوه وأذاه.

كذلك المؤمن إذا عصفت به الشرور، أو حزبته الأمور أو احتوشته [2] شياطين الفتنة ـ فر إلى بيت الله حيث يجد راحته من عدوه، وأنسه بربه.

أعمال الحج:

تبدأ أعمال الحج **بالإحرام** وهو نية الحج مع ذكر الله تعالى ويسبقه تجرد من الثياب المخيطة وغسل يطهر به ظاهر الجسد، وتوبة تطهر بها الروح وارتداء لإزار ورداء محيطين غير مخيطين.

وهذا التجرد رمز للتخلى عن الدنيا وشهواتها ولذاتها وفتونها، والتأهب للآخرة والتخفف للسير فى طريقها كما أنه يذكره بالموت والغسل والكفن فيدفع الإنسان إلى الزهد فى العاجلة والعمل للآخرة.

---

(1) الوصب: المرض.

(2) احتوشته: تجمعت حوله.

والتلبيـة والطواف: هى الأنشودة المقدسة التى تسمو بها النفس إلى عالم القدس وتعرج بها إلى الملأ الأعلى حين يهتف الإنسان من كل قلبه : لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ؛ هذه التلبية تدل على أن العبد لبى دعوة مولاه حين دعاه لزيارة بيته الكريم وعلى منتهى الإخلاص له. والحجاج وهم يطوفون بالبيت العتيق يمثلون أمة عظيمة حزبها أمر عظيم ففزعت إلى زعيمها تطوف بقصره ليدفع عنها ما حاق بها إذ ليس لها ما تلوذ به سواه.

وما الحجر الأسود فى البيت العتيق إلا يمين الله يصافح بها عباده فمن تمكن من تقبيله قبله وإلا استلمه وأشار إليه. والناس لا يتسنى لهم أن يصافحوا ربهم- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والأنبياء الذين إذا بايعهم العبد فكأنما بايع الله لم يكتب لهم الخلد فى الأرض فوضع الحجر الأسود ليكون رمزاً أبديًا خالداً للناس- من شاء منهم أن يعاهد الله على الإيمان والتقوى فليضع يده عليه إن استطاع، وليقبله إن تسنى له ذلك، وليشر إليه بيده أو بعصاه إن عجز عن لمسه وتقبيله.

والصفا والمروة من شعائر الله والسعى بينهما يذكّر بضراعة أم إسماعيل إلى الله حين أعوزها الماء ودعت الله ففجره لها من صميم الصخر فحين يسعى الحجيج بين الصفا والمروة يستعيدون هذه الذكريات ويظهرون ضراعتهم وذلهم وحاجتهم إلى الله تعالى ليحوطهم برحمته.

والوقوف بعرفات يمثل للأذهان يوم القيامة إذ يقوم الناس لرب العالمين ويجتمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر. فإذا ذكر الحجاج هذا اليوم وأهواله حرصوا على أن يكون لهم من العمل ما يدفع عنهم شره.

وعرفات مؤتمر إسلامى عام يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها فيتشاورون فيما يرقى أممهم دينيا وخلقيا واقتصاديًا وسياسيًا حتى إذا عاد كل فريق إلى بلده حاول أن يدخل عليه من الإصلاح ما قبسه من غيره ليرقى العالم الإسلامى فى جميع مناحى الحياة.

ولكن يا للأسف الشديد- هذه الحكمة العالية قل من يأبه لها فكثير من الأقطار الإسلامية لا تعرف العربية، وسكان البلاد التى تنطق بالعربية لا يحسنون لغات هذه

الأقاليم فلا يتأتى التفاهم بين الفريقين، فلو أن تلك الأقطار حرصت على أن تتعلم اللسان العربى لسان القرآن والسنة لتسنى لهم التفاهم وتبادل الآراء وجنى المسلمون من ذلك أطيب الثمرات.

ورمى الجمار رمز لدحر الشيطان وحزبه والإعراض عن إغرائه ووسوسته، إذ ليس من الفكر المستقيم أن تتخذ الشيطان عدواً رجيمًا ثم ترجع فتجعله وليًا حميمًا؛ تستجيب لدعوته وتكون رهن إشارته ولو أن الحاج استحضر هذا المعنى عند رمى الجمار، وتمسك به تمسك البخيل بالدرهم والدينار، واستعان عليه بالمستعان ـ لما كان للشيطان عليه من سلطان. والله المسئول أن يمن بكتاب فيه وفى حكمه تبصرة لأولى الألباب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مايلزم إعتقاده فى الدين

هذا، وتعريف أصول الدين	ما يلزم اعتقاده فى الدين

أشرت بهذا البيت إلى أن علم أصول الدين ـ ويسمى علم الكلام لأنه من أشهر مباحثه، وعلم التوحيد لأن أشهر مباحثه البحث عن توحيد الله تعالى ـ هو ما يلزم اعتقاده فى الدين؛ وهو قسمان:

أ) **قسم يقدح الجهل به فى الإيمان:** كمعرفة[1] الله تعالى وصفاته الثبوتية[2] والسلبية[3] والرسالة والنبوة وأمور المعاد.

ب) **وقسم لا يضر:** كتفضيل الأنبياء على الملائكة فقد ذكر السيوطى عن السبكى أن الإنسان لو مكث مدة عمره ولم يخطر بباله تفضيل النبى ﷺ على الملك لم يسأله الله عنه.

وثمرته : معرفة الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية. وهو أفضل العلوم لتعلقه بذات الله تعالى، وشرف العلوم بشرف المعلوم. وقد

---

(1) أى معرفة ما يجب له من الصفات وما يستحيل عليه منها وما يجوز.

(2) وهى صفات المعانى وهى كل صفة تدل على معنى ثبوتى قائم بذاته تعالى والواجب اعتقاده على كل مكلف منها سبعة: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

(3) هى التى مدلولها سلب ضدها عنه تعالى وهى: القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه تعالى بنفسه والوحدانية فى الذات والصفات والأفعال.

جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ونسب إلى الشيخين أبى منصور الماتريدى وأبى الحسن الأشعرى لأنهما أشهر من ألّفَ فيه، ورد على المنحرفين .

ويفترض تعلمه على كل مكلف من ذكر وأنثى ولو بأدلة [1] إجمالية **وأما معرفة أدلته التفصيلية** فهى فرض كفاية إذا قام بها بعض الأمة سقط الطلب عن الباقين .

والصحيح صحة إيمان المقلد الجازم بصحة ما قلد فيه مع إثمه بترك النظر فى الأدلة إن كان قادرًا عليه وإلا فلا .

مايجب لله تعالى:

العالم الحادث لا الإله	**سبحانه منفرداً أنشاه**
هو القديم لا ابتداء لا انتها	**وذاته ليست تحاكى غيرها**
وكل ما يخطر فى الأوهام	**فغير ذى الجلال والإكرام**

العالم هو ما سوى الله تعالى، والحادث أى المحدث أى الموجود عن العدم لأنه متغير أى يعرض له التغير، وكل متغير حادث لأنه وجد بعد أن لم يكن. ومنشىء هذا العالم الإله المنزه عن النقص المنفرد بالكمال والأفعال ـ فحق أن نعتقد :

1- **أنه موجود** وأن وجوده بذاته ليس بواسطة شىء وأن وجوده واجب لا يلحقه عدم. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر:62]، ولا يخلُق غيره إلا من اتصف بالوجود.

2- **وأن نعتقد أن الله قديم:** موجود قبل كل شىء وأنه لم يكن معدومًا فى وقت من الأوقات، وأن وجوده ليس له أول إذ لا يسبقه عدم .

(1) الدليل ما يؤدى إلى الجزم بالعقائد وما يتعلق بها وهو إما نقلى وهو الكتاب والسنة الصحيحة، وإما عقلى وهو إما تفصيلى وهو الذى يقدر الشخص على تفصيله وترتيبه ودفع ما يرد عليه من الشبه كالاستدلال على وجوده تعالى بحدوث العالم ـ وهو فرض كفاية ، وإما إجمالى وهو الذى لا يقدر الشخص على ترتيبه وتفصيله بالطريقة المنطقية ولا على دفع الشبه التى ترد عليه كالاستدلال على وجوده تعالى بوجود العالم من غير بحث وهو كاف فى معرفة العقائد ولا خلاف فى صحة إيمان من عرفها به كالعامة ولا يضر فى إيمانهم عدم قدرتهم على التعبير عن العقائد وأدلتها الثابتة فى أذهانهم ولا ينبغى البحث معهم فى ذلك، وإذا ظهر من بعضهم خلاف الصواب كاعتقاد أن الله فى جهة وجب إرشاده إلى الحق . أ هـ المفيد للشيخ محمد أبو زيد .

3- وأن نعتقد أن الله باق أى لا انتهاء لوجوده. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ أى الموجود قبل كل شيء من غير ابتداء لوجوده ﴿وَالآخِرُ﴾ [الحديد:3]، أى الباقى بعد فناء كل شيء من غير نهاية لوجوده.

4- وأن نعتقد أن ذات الله تعالى لا تشابه شيئًا من المخلوقات بوجه من الوجوه فكل ما تراه أو ما يخطر ببالك فالله ليس كذلك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11].

5- وأن نعتقد أن الله لا يشابه شيئًا فى صفاته؛ فعلم الله لا يشابه علمنا، وقدرته لاتشابه قدرتنا، وإرادته لا تشابه إرادتنا، وحياته لا تشابه حياتنا وسمعه لا يشابه سمعنا وبصره لا يشابه بصرنا، وكلامه لا يشابه كلامنا.

6- وأن نعتقد أن أفعاله لا تشابه أفعال الحوادث لأن المولى سبحانه وتعالى يفعل الأشياء بلا واسطة ولا آلة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، وأنه لا يفعل شيئًا لاحتياجه إليه، وأنه لا يفعل شيئًا عبثًا لأنه سبحانه وتعالى حكيم.

7- ويجب أن نعتقد أن الله تعالى قائم بنفسه لا يحتاج إلى شيء من الأشياء فلا يحتاج إلى مكان ولا غيره فهو الغنى عن كل شيء وكل شيء محتاج إليه سبحانه وتعالى.

أوصافه حياته والقدرة	علم وسمع بصر إرادة
كلامه، وكلها قديمه	والضد والنقص محال ديمه

الحياة: وهى صفة تقتضى صحة العلم لموصوفها فوجب أن نعتقد أن الله حى.

والقدرة:

وهى صفة تؤثر فى الشيء عند تعلقها به، فوجب أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بها وأنه على كل شيء قدير. قال الإمام الغزالى: إن الله تعالى حى قادر، جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت وإنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت. له السلطان والقهر، والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون فى قبضته. وإنه المنفرد بالخلق والاختراع؛ المتوحد بالإيجاد والإبداع؛ خلق الخلق وأعمالهم، وقدر

أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ولا تعزبُ عن قدرته تصاريف الأمور ، لا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته .

والعلم:

صفة ينكشف بها الشيء عند تعلقها به . قال الإمام الغزالى فى عقيدته : إن الله تعالى عالم بجميع المعلومات محيط علمه بما يجرى فى تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفًا به فى أزل الآزال ، لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال .

والسمع والبصر:

هما صفتان يزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فنعتقد أن الله تعالى سميع بصير يسمع ويرى ، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ، ولا يحجب سمعه بُعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ؛ يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان - كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة ، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق .

والإرادة:

هى صفة تخصص أحد طرفى الشيء من الفعل والترك بالوقوع ، فحق أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بالإرادة وأنه تعالى مريد للكائنات ، مدبر للحادثات ؛ فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسران ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره ، وحكمته ومشيئته - فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر بلَ هو المبدىء المعيد ، الفعّال لما يريد ، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبد من معصيته إلا بتوفيقه

ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته - فلو اجتمع الإنس والجن، والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك - وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته - لم يزل كذلك موصوفًا بها، مريدًا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها - فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير. دبر الأمور لا بترتيب أفكار، ولا تربص زمان - فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

الله دبر ما يكون وكانا أو ما كفاك مدبراً مولانا؟

والكلام

صفة قائمة بذات الله تعالى: فوجب أن نعتقد أنه سبحانه موصوف بالكلام وأن كلامه لا يشبه كلامنا؛ فإن كلامنا مخلوق فينا وبواسطة آلة من فم ولسان وشفتين - وكلامه سبحانه ليس كذلك. قال الغزالى: إن الله تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق - فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن التوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام، وأن القرآن مقروء بالألسنة، مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف - كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض، وإذا كانت له هذه الصفات كان حيًا عالماً قادراً مريداً سميعًا بصيراً متكلمًا بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات. ويجب أن نعتقد أن صفاته تعالى كلها قديمة.

المستحيل فى حقه تعالى

وأشرت بقولى: والضد والنقص محال ديمه إلى أنه يستحيل فى حقه تعالى النقص وأضداد الصفات المتقدمة، وهى العدمُ، والحدوثُ، والفناء، والمماثلة للحوادث، والاحتياج لغيره سبحانه، ووجود الشريك والعجز والإكراه أى وقوع

شيء بغير إرادته والجهل وأشباه ذلك، وإنما استحال اتصافه بها لأنها صفات نقصان، والله لا يتصف إلا بصفات الكمال.

الوحدانية ودليلها

سبحانه من واحد عليم	خلا عن الحلول والتجسيم

الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله؛ وليس له شريك ولا مماثل، ولا ضد ولا معاند؛ والدليل على أنه ليس مركبًا في ذاته ولا في صفاته أنه لو كان مركبًا في واحد منهما لأشبه الحوادث فيكون حادثًا وقد ثبت أنه قديم. والدليل على أنه ليس له مماثل في ذاته ولا في صفاته أنه لو كان لكان إلهًا مثله، ولو كان معه في الوجود إله ـ لما وجد هذا العالم ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]، أي لم توجدا، وقد وجدتا فثبت أنه واحد.

دليل آخر على استحالة تعدد الآله:

لما وجب وجود إله للعالم لأن الحوادث لابد لها من محدث. فإذا وجد إله آخر فإما أن لا يكون كل منهما كافيًا في إيجاد العالم فلا يكون كل منهما إلهًا لأن الإله هو الكافي المستقل، وإما أن يكون واحد منهما كافيًا فيكون الثاني ضائعًا لا حاجة إليه، والإله حاشاه من ذلك.

والدليل على أنه واحد في الأفعال تواتر النصوص الشرعية على أن الخالق للخلق وأفعالهم هو الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: 3]، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54].



الرد على الحلولية

وأشرت بقولي: "خلا عن الحلول" أى لا يحل فى شىء إلى الرد على فئة من غلاة المتصوفة يقولون: إن الشيخ السالك إذا أمعن فى السلوك واستغرق فى بحر الفناء فى التوحيد فربما يتحد الله معه بحيث لا إثنينية بينهما فى الخارج وحينئذ يقول: هو أنا وأنا هو. هو يعبدنى وأنا أعبده، وهو يحمدنى وأنا أحمده ـ إلى نحو ذلك فيرفع عنه الأمر والنهى ويتصرف كيف يشاء. وهؤلاء يسمون الاتحادية، وبعضهم يقول: ربما يحل الله فيه بحيث لا يتمايزان فى الخارج فحينئذ يقول ما يقول، ويفعل ما يفعل. **وأقول**: هؤلاء أشرار كفار بل شر من الكفار يلبسون على المسلمين، ويفسدون عقائد الدين، فالبعد عنهم من أعظم الغنائم، والدنو منهم أكبر الجرائم. وقد اشبهوا النصارى القائلين باتحاد ذات الله بالمسيح أو حلول ذاته فيه. تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً. وجل أن يتصل بذاته شىء أو يتصل هو بشىء وكيف يتصل كامل على الإطلاق بناقص على الإطلاق -وشرط الاتصال المداناة فى الوصف. قال الشيخ محيى الدين بن عربى: ما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، كما أن القائل بالحلول من أهل الفضول. وقال: لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته ويتحد بخالقه لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلهًا وصار الحق خلقًا والخلق حقًا وما وثق أحد بعلم، وصار المحال واجبًا ـ فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدًا. (أنظر المواقف: المقصد الخامس من المرصد الثانى).

الرد على المجسمة

وأشرت بقولي: "خلا عن التجسيم". إلى أنه تعالى ليس بجسم ولا عرض والجسم ما قام بنفسه والعرض ما قام بغيره كالبياض. قال الشيخ محي الدين بن عربي فى (المواقف – المقصد الثانى) فى أنه تعالى ليس بجسم: وذهب بعض الجهال إلى أنه جسم. ويقال له: لو كان جسمًا لكان مقدراً بمقدار مخصوص وكونه مقدراً بهذا المقدار دون ما هو أقل أو أكثر منه أمر جائز لا يترجح إلا بمخصص ومرجح فهو حينئذ مفتقر إلى مخصص يتصرف فيه (فيقدره) بمقدار مخصوص فيكون مصنوعًا لا

صانعًا ومخلوقًا لا خالقًا وقد قام الدليل على بطلان ذلك، وإذا ثبت انتفاء الجسمية ثبت انتفاء لوازمها فليس سبحانه بذى لون ولا رائحة ولا صورة ولا شكل ولا متناه ولا حالّ فى شىء ولا محل له. قال الإمام أحمد: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله سبحانه خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجئ فى الشريعة ذلك فبطل. أ هـ.

قال الكمال بن الهمام: اسم الجسم يقتضى النقص من حيث اقتضاؤه الافتقار وهو أعظم مقتض للحدوث فمن أطلقه فهو عاص بل قد كفره بعضهم وهو أظهر- فإن إطلاقه مختاراً بعد علمه بما فيه من اقتضاء النقص استخفاف. أ. هـ هذا فيمن قال: إنه جسم بمعنى موجود أو جسم أى قائم بنفسه. وأما من قال: إنه جسم وفسره بما تخيل مما أنزه قلمى أن يخطه فلا نزاع فى كفره. وارجع إلى المقصد الثانى من المرصد الثانى من المواقف لتقف على سخف قولهم وتهزأ بهم وبجهلهم.

مذهب السلف والخلف فى النصوص الموهمة للتشبيه:

وأول النص الذى قد أوهما	تشبيهه أو فوضن معظما

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، قام الدليل العقلى على أن الله لا يشبهه شىء من خلقه. وما ورد فى الكتاب والسنة من المشكل من الصفات نؤمن بظاهره. **ونـنزه الله عن حقيقته ونفوض معناه المراد إليه وهذا هو مذهب السلف** كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 27]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39]، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، وقوله ﷺ: **«إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء»** رواه مسلم.

أو نؤول كما هو مذهب الخلف فنؤول فى الآيات الاستواء بالاستيلاء، والوجه بالذات والعين باللطف واليد بالقدرة، والمراد بالحديث أن قلوب العباد كلها بالنسبة إلى قدرته تعالى شىء يسير يصرفه كيف يشاء كما يقلب الواحد من عباده اليسير بين إصبعين من أصابعه. ومذهب السلف أرجح لأنه أسلم وأحكم، وأما مذهب الخلف فإنما يسوغ الأخذ به عند الضرورة، وذلك إذا خيف على بعض الناس إن لم نؤول

لهم تلك الكلم أن يقعوا فى مهواة التشبيه فيؤول لهم ذلك تأويلاً سائغًا فى اللغة المشهورة.

ما يجوز فى حقه سبحانه :

وجائز فى حق ذى الإحسان	إيجاد أو إعدام ذى الإمكان

يجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه كأن يغنى أو يفقر وهكذا. ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 27,26].



القضاء والقدر والكلام فيهما

ولا يُرى غيــرُ الذى قــدرهُ	فى ملكه فــجَلَّ من دبرهُ

القدر:

ما يقع من العبد مما قدره الله أزلاً خيره وشره منه بخلقه وإرادته، ما شاء كان وما لا يشاء فلا يكون.

تنبيه:

الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى لكن للعبد كسبًا فى أفعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب، وبه صح نسبة الفعل إلى العبد فى قولنا فعله، قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه فى الفقه الأكبر ما نصه: وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقه. قال شارحه: يعنى أن أصل الفعل بقدرة الله تعالى، والاتصاف بكونه طاعة أو معصية بقدرة العبد. وبيان آخر: أن العبد يوجه إرادته إلى الفعل، ويعلق قدرته به فيكون ذلك منه سببًا لاتصافه به كبقية الأسباب فى جانب مسبباتها، وهذا من العبد هو الكسب، والله تعالى عند ذلك يوجده بقدرته وهذا هو الخلق. وهذا هو المذهب المتوسط بين الإفراط والتفريط، فلا نقول بأنه لا دخل للعبد فى جميع أفعاله، ولا نقول بأنه لا دخل لله فى أفعال العباد الاختيارية بل نقول: إن الله تعالى خالق أفعالهم وهم يكتسبونها وعلى كسبهم يثابون أو يعاقبون.

تنبيه آخر:

القضاء والقدر أمرنا بالإيمان بهما ونُهينا عن الخوض فى مباحثهما ولكن لابد من تعريفهما. والمنقول عن الماتريدية فى تفسيرهما أن القدر هو تحديد الله أزلاً كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر إلى غير ذلك. أى علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات فيرجع إلى صفة العلم.

وأن القضاء إيجاد الله تعالى الأشياء على وفق علمه تعالى وتقديره لها فى الأزل فقد تبين أن القدر والقضاء راجعان إلى تعلق العلم الإلهى الأزلى بالأشياء وتعلق القدرة الإلهية بها.

لا يصح الاحتجاج بالقدر

واعلم أنه وإن وجب الإيمان بالقدر لا يجوز الاحتجاج به قبل الوقوع توصلاً إلى الوقوع بأن يقول الشخص قدر الله عليّ كذا وغرضه بذلك التوصل إلى الوقوع فيه، وللشرع الحجة عليه فى ذلك إذ يقال له وما أدراك أنه قدر عليك حتى تقدم عليه؟ - فإقدامك لشهوتك وجراءتك فوجبت معاقبتك، ولا بعد الوقوع تخلصًا من الحد الشرعى بأن زنا وقال: قدره الله عليه فيقال له أقدمت ولا علم لك بما قدر عليك فإقدامك لشهوتك فوجبت معاقبتك. والله أعلم.

قال شيخنا الإمام الشيخ سلامة العزامى: وقد أوجز النبى ﷺ حيث قال: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍّ خير ــ احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا فاتك شيء فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان»**. أخرجه مسلم وغيره. والمراد أن المؤمن القوى والضعيف اشتركا فى أعظم الخيرات وهو الإيمان، ولكن المؤمن القوى الذى يأخذ أموره بحزم وعزم فيعد أسبابها ويسعى فى تنفيذها مستعينًا بالله حتى إذا عجز دفع وسوسة الشيطان ـ بقوله: هذا ما قدره الله وما شاء فعل ـ أحب إلى الله من المؤمن الضعيف الذى يتهاون فى أموره ولا يأخذ فى أسبابها اتكالاً على ما قدره الله، ولما قيل له ﷺ: أنتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»** ورضى الله عن الصحابة الكرام ما أدق فهمهم فإنهم حينما سمعوا هذا قال قائلهم: «ما كنا إذا سمعنا هذا الحديث بأشد اجتهادًا منا قبل أن نسمعه».

وقد أوضح ﷺ هذا كل الإيضاح حين قيل له: يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقىً نسترقى بها وتقىً نتقى بها أترد من قدر الله شيئًا؟ فقال ﷺ: **«هى من قدر الله»**. فأنعم بهذا الجواب الذى يحفر الهمم إلى العمل النافع ويهيب بالناس إلى اتخاذ الأسباب، وقد أمر الله رسوله ﷺ بالدعوة إليه، وكم لقى من إيذاء المشركين ـ فلم يهن عزمه عن أن يعد العدة لرد عدوانهم اتكالاً على القدر ـ بل قاوم وبذل وسعه لينحى المشركين عن طريقه حتى نصره الله. وهذا من قدر الله.

فعلى العاقل أن يعلم أن القدر سابق، وأن ما كتب له أو عليه غير معلوم له وأن

أسباب الخير والشر فى الدنيا والآخرة قد أرشده الله إليها على ألسنة الرسل عليهم السلام وما وضع في العقول ، وأنه لا يأتى الخير إلا بسببه ، ولا يحدث الشر إلا من طريقه - فليشمر كل التشمير للسعى فى طريق الخير التى أمر بها ، وليبعد كل البعد عن سبيل الشر التى نهى عنها معتمداً فى إنجاح مساعيه على الله تعالى . وإذا وفق لطاعة تيقن أن الله وفقه لفعلها فالحمد له ، ولا يحبطها بعجب أو مَنٍّ تثيرهما رعونات النفس ، وإذا وقع فى معصية فليسرع بالمتاب إلى الثواب ، ولا يحتج لنفسه بما سبق من الأقدار .

فإن حسن الاعتذار سبيل الأخيار من النبيين والصديقين وأهل البصائر أجمعين .

وانظر لآدم أبى البشر ﷺ حين قال الله له ولزوجه : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:22]، هل احتجا لأنفسهما (حاشاهما) بل قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:23]، وقال رسول الله نوح ﷺ : ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح:28]، وقال الخليل : ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:82]، وقال الكليم : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص:16]، وصح عن سيد المرسلين ﷺ : **«ياأيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فوالله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين - وفى رواية - أكثر من سبعين مرة»** ، وَمَن الناسُ إلا هؤلاء السادة؟ وفيهم للمؤمن خير أسوة .

أما التمسح بالقدر فهو طريق إبليس اللعين ، ألا تراه قال : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:39]، فإن قلت : أليس قد احتج آدم بالقدر حين لامه الكليم كما رواه البخارى؟ قلت : بلى ولكن فى دار التشريف وبعد صدق التوبة .

فإن قلت : ألا جعل الكل موفقين؟ قلت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإذا قيل فى المخلوقين : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة:91]. ألا يكون ذلك فى أحسن الخالقين ورب العالمين؟ وإن لله فى أقضيته حكَمًا لو أطلعت عليها لاسترحت إليها وعلمت أن الحق للحق فتب لربك واحذر ما يغضبه واتهم عقلك فيما يحاوله ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:149]. وقف متأملاً قول رب العالمين : ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:23] تكن من الراشدين . والحمد لله

رب العالمين . أ هـ وقلت :

وليس المرء مجبورا ولكن ... له في فعله نوع اختيار
يفكر في الذى يبغي ويمضى ... إلى الأمر الذى أمضاه بارى

* * *

لمن يغفر الله؟

وقد يجود الله بالغفران ... لغير ذى كفر من العصيان
وغير باق في العذاب العاصى ... ولو أتى بأكبر المعاصى
أشد سكان الجنان فقرا ... نصيبُه منها كدنيا عشرا

ونعتقد أن الله لا يغفر خطيئة الكفر المتصل بالموت ، وقد يجود بغفران غيرها من الذنوب إن شاء . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء : 48] .

ونعتقد أن الله لا يخلِّد العاصى فى النار إذا عذب بها بل نقطع بخروجه منها وإدخاله الجنة . قال ﷺ : **«من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه»** . رواه البزار والطبرانى واسناده صحيح .

إن أفقر أهل الجنة ، وهو آخر من يخرج من النار ، نصيبه فى الجنة مثل الدنيا عشر مرات . ولا خراب فى الجنة بل كلها عامر ، بخلاف الدنيا . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها أو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ؛رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله عز وجل له : اذهب فادخل الجنة ـ فيأتيها فيخيلُ إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ـ فيقول الله عز وجل له : اذهب فادخل الجنة ـ فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله عز وجل له : اذهب فادخل فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إنّ لك مثل عشرة أمثال الدنيا .فيقول : أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك ؟»** قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[1] ، فكان يقول : **«ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»** . رواه البخارى ومسلم .

(1) نواجذه : أضراسه

عصمة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وحكمة إرسال الرسل

وأرسل الرسل مؤيدينا	بخارق العادات معصومينا

الله تعالى خلق الخلق فلا يجب لهم عليه شيء ولكنه أرسل رسله إليهم ليبشروهم بما أعده لأهل طاعته، وينذروهم ما أعده لأهل مخالفته - وأيدهم بالمعجزات الباهرات.

والمعجزة: (أمر خارق للعادة) بأن يظهر على خلافها كإحياء ميت وإعدام جبل وانفجار الماء من بين الأصابع (على وفق التحدى) أى الدعوة للرسالة. فخرج غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم. والخارق من غير تحد وهو كرامة الولى. والخارق على خلافه بأن يدعى نطق طفل بتصديقه فينطق بتكذيبه هو إهانة للمدعى.

والرسل والأنبياء معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها-فالذنوب المنسوبة إليهم فى الكتاب والسنة ليست ذنوبًا حقيقية، وإنما هى ترك الأوْلَى بالنسبة لمناصبهم العلية ولعل ما عُدّ فى حقهم ذنوبًا يكون من أفضل الحسنات فى حق مَنْ دونهم من المقربين بله[1] عامة المؤمنين.

ما يجب للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل عليهم

وواجـــب للرسل الأمـانه	والصـدق والتـبليغ والفطانه
ويستحيل الكذب والعصيانُ	والعيـــب والغفلة والكتمانُ

يجب للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أربع صفات وهى الأمانة والصدق والتبليغ والفطانة؛ ومعنى الأمانة فى حقهم كون ظواهرهم وبواطنهم محفوظة من الوقوع فيما لا يرضى الحق الذى اصطفاهم على سائر الخلق، ومعنى الصدق فى حقهم كون خبرهم مطابقًا للواقع ونفس الأمر فلا يصدر منهم كذب أصلاً، ومعنى التبليغ كونهم بينوا للناس كل ما أمرهم الله ببيانه أحسن بيان فلم يكتموا من ذلك شيئًا، ومعنى الفطانة كونهم أكمل الخلق فى النباهة والفهم.

(1) بَلْهَ : فكيف " بعامة المؤمنين "

ويستحيل على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أربع صفات وهى الكذب والعصيان والكتمان والغفلة، وكذلك يستحيل عليهم كل ما يعدها العقلاء من العيوب، وإن لم تكن من الذنوب كدناءة الحرفة والنسب أو تنافى حكمة البعثة كالصمم والبكم.

فإن قيل إذا كان العصيان مستحيلاً فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف أكل آدم من الشجرة التى نهى عنها؟.

فالجواب أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة بطريق النسيان. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115]. والناسى غير عاصى ولا مؤاخذ، وأما نسبة العصيان إليه فى قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122,121]، فلصدور صورة المخالفة عنه بناء على النسيان الناشيء عن عدم التحفظ التام منه. والمخالفة التى تصدر نسيانًا لا تعد فى حق الناسى عصيانًا، وعدَّت معصية فى حق آدم نظرًا لعظم رتبته، والخطأ الصغير يستعظم من الكبير.

وأما مؤاخذة المولى سبحانه وتعالى لآدم على ذلك بإهباطه إلى هذه الديار، واعتراف آدم بالذنب، وإشفاقه ومثابرته على الاستغفار فذلك لتزداد درجته علوا، ويقاس على ذلك ما ينسب لسائر الأنبياء من المعاصى فإنها معاص بالنسبة إلى كمال طاعاتهم وعظم منزلتهم لأنها صادرة منهم عليهم السلام إما على طريق التأول أو السهو وأما اعترافهم بها واستغفارهم منها فلزيادة معرفتهم وتقواهم وليزدادوا حظوة لديه وكرامة عليه.

الجائز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام

وجائز فى حقهم ما لا يرى	نقيصة، ولم يكن منفرا

يجوز فى حق الأنبياء عليهم السلام وقوع الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص مراتبهم العلية كالأكل والشرب والجوع والعطش واعتراء الحر والبرد والتعب والراحة والمرض والصحة ومثل ذلك التجارة والاحتراف بحرفة ليست دنيئة لأنهم

بشر يجوز عليهم ما يجوز على البشر مما ليس بنقص .

والحكمة فى لحوق الأمراض بهم عليهم السلام مع كونهم خير البرية أن يعظم أجرهم ، ويظهر فى طاعة الله ثباتهم وصبرهم ، ولأجل أن تتأسى بهم الناس إذا حل بهم البلاء والبأس ، ويعلموا أن الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار إكرام وإحسان ، ولئلا يعتقد الألوهية أحد فيهم إذا رأى المعجزات الباهرة تظهر على أيديهم ويعلم أن ذلك بإرادة باريهم ، وأنهم وإن عظم قدرهم عاجزون عن جلب النفع ودفع الضر كغيرهم .

والحاصل أن الله اصطفاهم على العالمين ، وأرسلهم ليكونوا بأوامره وأحكامه عاملين ، وأنهم لم يختلفوا فى أمر الدين لكونه أصلاً لتعلقه بالاعتقاد الذى لا يقبل التعدد والتحول أصلا وإنما اختلفوا فى بعض أحكام الشريعة لكونها فرعًا ، لتعلقها بالعمل الذى توجب الحكمة اختلافه باختلاف الأمم زمانا ومكانا وحالا وطبعا .



الكتب والصحف السماوية

وكتبه التوراة والإنجيل	وصحفه، زبوره الجليلُ
قرآنه وحرفت سواه	سبحان ربي آية أبقاهُ

ثبت بالقرآن والتواتر والإجماع أن الله سبحانه وتعالى أنزل على سيدنا موسى كتابًا سماويًا اسمه التوراة، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا**﴾ [المائدة: 44].

وأنزل على عيسى الإنجيل، قال تعالى: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ**﴾ [المائدة: 46]. وأنزل على داود الزبور. قال تعالى: ﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ [الإسراء: 55]، وأنزل الله على سيدنا محمد ﷺ القرآن. أما اصحف فقد ورد فى شأنها آثار كثيرة وأرجحها أنها مائة صحيفة: **خمسون** نزلت على شيث عليه السلام، **وثلاثون** على إدريس عليه السلام، وعشر نزلت على إبراهيم عليه السلام، وعشر على موسى عليه السلام قبل التوراة، ولم يعرف عن هذه الصحف شيء يقينًا.

فالواجب على المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى أنزل هذه الكتب نَصَحَ فهيا عباده وأمرهم ونهاهم ووعدهم وأوعدهم، وهى كلام الله حقيقة بدت منه بلا كيفية قولاً وأنزلها وحيًا.

وأشرت بقولى (وحرفت سواه) إلى أن الكتب المنزلة كلها حرفت غير القرآن. فسبحان من تولى حفظه بذاته وأبقاه آية لمخلوقاته.

التحريف:

تغيير الكلام والعدول به عن جهته وهو قسمان: التحريف اللفظى، والتحريف المعنوى.

التحريف اللفظى: يندرج تحته أمور ثلاثة: **الأول**: تبديل لفظ بلفظ أو جملة بجملة يكون بينهما مغايرة فى المعنى. **الثانى**: زيادة كلمة أو جملة توجب تغيير المعنى. **الثالث**: نقص كلمة أو جملة بحيث يكون نقصها مغيراً للمعنى.

أما التحريف المعنوى:

فهو حمل الكلام على غير معناه فى لسان أهله كحمل النصارى لفظ (الفار قليط) الذى معناه فى لغة الإنجيل الأصلية (أحمد) على روح القدس توصلاً لإنكار بشارة الإنجيل بنبينا ﷺ.

ولنتكلم على هذه الكتب وما لحقها بشىء من التفصيل، فنقول:

التوراة:

كتاب أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام لبيان الأحكام الشرعية والعقائد الصحيحة المرضية والتبشير بظهور نبى من بنى إسماعيل وهو نبينا ﷺ، والإشارة إلى أنه يأتى بشرع جديد يهدى إلى دار السلام.

ويعتقد العلماء أن التوراة الموجودة الآن لحقها التحريف، ومما يدل على ذلك أنه ليس فيها ذكر الجنة والنار وحال البعث والحشر والجزاء مع أن ذلك أهم ما يذكر فى الكتب الإلهية، ومما يدل على تحريفها أيضًا ذكر وفاة موسى عليه السلام فيها فى الباب الأخير منها، ويدل على تحريفها أيضًا اختلافها فى مواضع كثيرة يعرفها من نظر فى نسخها، وإنى أذكر لك شاهدًا على ذلك: النسخ المشهورة للتوراة عند اليهود ثلاث:

1- **العبرانية:** وهى المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء البروستانت..

2- **النسخة اليونانية:** وهى التى كانت معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر الميلادى، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية.

3- **النسخة السامرية:** وهى المعتبرة عند السامريين.

هذه النسخ الثلاث نصت على مقدار الزمن من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام ولكن النسخة العبرية قدرته بـ 1656 بألف وستمائة وست وخمسين سنة، والنسخة اليونانية قدرته بـ 1262 بألف ومائتين واثنتين وستين سنة، والنسخة السامرية قدرته بـ 1307 بألف وثلاثمائة وسبع سنين. فانظر إلى هذا الاختلاف الفاحش الذى يتعين معه كذب الكل أو البعض، وقال وارد كاثوليك فى كتابه مبينًا أحوال الإنجليز

البروستانت وما أفسدوه فى تراجمهم للتوراة والإنجيل: قال المستر كاليل: المترجمون الإنكليزيون أفسدوا المطلب وأخفوا الحق وخدعوا الجهال وجعلوا مطلب الإنجيل الذى كان مستقيمًا معوجًا وعندهم الظلمة أحب من النور والكذب أحب من الصدق. وفى كتابه أيضًا: أن الترجمة التى هى مروجة فى انجلترا هى مملوءة من الأغلاط وحرفت عبارات كتب العهد العتيق فى 848 ثمانمائة وثمانية وأربعين موضعًا، وصارت سببًا لرد أناس غير محصورين كتب العهد الجديد ودخولهم النار.

الإنجيل:

كتاب من كتب الله سبحانه وتعالى أنزله على المسيح عليه السلام لدعوة الخلق إليه. ونسخ بعض أحكام التوراة الفرعية على حسب الاقتضاء والتبشير بظهور خاتم الأنبياء.

ويعتقد العلماء: أن الإنجيل المتداول الآن له أربع نسخ. ألفها أربعة بعضهم لم ير المسيح عليه السلام أصلاً. وهم متى ومرقص ولوقا ويوحنا. وإنجيل كل من هؤلاء مناقض للآخر فى كثير من المطالب -وقد كان للنصارى أناجيل كثيرة غير هذه الأربعة، لكن بعد رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء بأكثر من مائتى سنة عولوا على إلغاء ما عدا هذه الأربعة تخلصًا من كثرة تناقضها.

والزبور:

من الكتب المنزلة؛ أنزله سبحانه على سيدنا داود عليه السلام وهو عبارة عن أدعية وأذكار ومواعظ وحكم، وليس فيه أحكام شرعية لأن داود عليه السلام كان مأمورًا باتباع الشريعة الموسوية. وقد كان المظنون أن لا يتطرق إلى الزبور تحريف لأنه حكم لا أحكام لكن قال الإمام ابن تيمية فى الجواب الصحيح آخر الجزء الأول: وكذلك رأينا نسخًا متعددة فى الزبور يخالف بعضها بعضًا مخالفة كثيرة فى كثير من الألفاظ والمعانى يقطع من رآها أن كثيرًا منها كذب على زبور داود عليه السلام.

وقال وازد كاثوليك: وصل عرضحال من فرقة بروستانت إلى السلطان جيمس الأول بهذا المضمون أن الزبورات التى هى داخلة كتاب صلاتنا مخالفة للعبرى بالزيادة والنقصان والتبديل فى مائتى موضع تخمينًا.

أما الكتاب المعجز وهو القرآن

فاعتقادنا فيه أنه أشرف كتاب منزل على أشرف نبى، وهو آخر الكتب الإلهية نزولاً وهو ناسخ لجميع الكتب قبله، وحُكمه باق إلى يوم القيامة. لا يمكن أن يلحقه تغيير ولا تبديل، وهو أعظم آية على نبوة نبينا محمد ﷺ.

وإنما كان أعظم المعجزات لكونه آية عقلية باقية تشاهد كل حين بعين العقل، وغيره محيت آثارها وبقيت أخبارها.

ووجه إعجازه أنه بلغ فى الفصاحة والبلاغة إلى حد خرج عن طوق البشر، فإن النبى ﷺ تحدى به العرب العرباء وهم أفصح الأمم لسانًا، وأوضحهم بلاغة وبيانًا. وقد وصلوا فى عصره فى البلاغة وفصل الخطاب لحال يحير الألباب، وبقى فيهم ثلاثة وعشرين عامًا يتحداهم؛ فتارة يطلب منهم الإتيان بمثل سورة من القرآن وأن يستعينوا بمن شاءوا من الإنس والجان، وتارة يصفهم بالعجز عن ذلك فعجزوا وتركوا معارضة الكلام إلى معارضة الحسام - وحيث عجز عرب ذلك العصر فمن سواهم أعجز، وقد مضى أكثر من ألف وثلاثمائة وسبعين عامًا[1] ولم يوجد بليغ إلا وهو فى غاية الاستسلام؛ فدل على عجز الأنام عن معارضة كلام السلام وهذا الوجه وحده كاف فى الإعجاز فكيف وقد انضم إليه إخباره عن أمور مغيبة ظهرت كما أخبر، وأنه لا يمله السمع مهما تكرر، وجمعه لعلوم لم تكن عند العرب والعجم، وإنباؤه على أخبار السالف من الأمم مع أن من أنزل عليه من الأميين فبعثه الله رحمة للعالمين وأنزل عليه ما أعجز الخلق أجمعين. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 182]. وهو القرآن الكريم الذى أنزل عليه فى وقت تم فيه نضج البشرية، وبلغ عقلها غاية كماله ومهما ارتقت فهى واجدة فيه حاجتها تامة موفورة لأنه جاء بشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

فحق علينا أن نقرأ هذه الرسالة بإمعان، ونأتمر بأمرها ونجتنب نهيها، ونروض أنفسنا على ما رسمته من آداب، ونفكر فيما أشارت إليه من علوم، ونعتبر بما قصته من تاريخ فنسلك سبيل الصالحين ونعدل عن مسالك الطالحين حتى نكون من المفلحين. قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: 29].

---

(1) وقت تأليف هذا الكتاب المبارك عام 1374 هـ.

ولو أن حاكمًا بعث إلى بعض رعيته رسالة ليتدبرها، وينفذ أمرها ويجتنب نهيها ـ فلما وصلت إليه قبّلها ووضعها على رأسه وكساها كسوة حرير، وجعلها فى حرز من الذهب ولم ينفذ لها أمرًا ولم يجتنب لها نهيًا ـ لكان خليقًا بأليم العقاب، وَسَيِّئ الجزاء على ما اقترف من إهمال ـ فكذلك المسلم الذى همّه احترام ما كتبت فيه رسالة الله دون أن يتبع هداه.

فيا أيها المسلم اتق الله فى كتاب ربك واغترف من معينه الفياض ما فيه سمو روحك وسعادة دنياك وآخرتك، وقلت:

استحفظ الأحبار سائر كتبه	وهو الحفيظُ لمنزَلٍ بالضادِ
فلذا تبدل غيرهُ،وخلودهُ	حق برَغم مُعاندٍ ومعادى
المعجزاتُ على تكاثرها انتهت	وهو الذى يبقى على الآباد
سحَر الأنامَ جلالُه وجماله	وحديثه عن مبدإٍ ومعَاد
ألقى مقلدهُ وباءَ بعجزه	لجلالة الفرقان بالمِقلادِ
ولو استعان الأنسُ جنًا وابتغوا	مثلاً له رجعوا بغير مرادِ
لو شمتَ فى عقد البلاغة آية	منه لقلتَ يتيمة بقلادِ



الأولياء وما يتعلق بهم

ومـا أتى للأنبـيـاء مـعـجـزه	كـرامـة للأوليـاء مـبـرزه
من فـعل مـولانا القـدير الحى	لذى وفـاة منهـمـو وحى

الولى:

هو العـارف بالله تعـالى حـسب مـا يمكنه ، المواظب على الطاعـات المجتنب للمعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات .

والكرامة :

أمر خارق للعادة يكرم الله به الولى حيًا وميتًا وليس فى مذهب من المذاهب الأربعة قول بنفيها بعد الموت ، بل ظهورها حينئذ أولى لأن النفس حينئذ صافية من الأكدار ، ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته فليس بصادق : وقلت :

يـا مـنكـراً لـلأولياء كـرامـة	بـعد انـتـقـالهمو لدار رضـاه
أتجـيزهـا لـلـروح وهـو مقيـدُ	وتـكـفهـا والـقيـدُ قـد خـلاه
إن الـكـرامـة فـعـلـه سبحـانه	إذ أكـرموه بـفـعـل مـا يرضـاه
مـا مات مـن قتـلوا بـسيف عداتـه	أيـمـوتُ من قـتِلوا بسيف هـواه
حاشـا وكـلا أن يـموت من الـذى	بـوداده فـى ذاتـه أحـياه
مـا المـوت لـلأحياء إلا نـقـلـة	مـن دار شـدته لـدار رخـاه

ومن أمثلة الكرامة:

جريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه ، ورؤيته وهو بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لأمير الجيش يا سارية الجبل محذراً له من وراء الجبل لكمون العدو له هناك ، وسمع سارية كلامه مع بعد المسافة .

والذى عليهالمحققون : أن كل ما كان معجزة لنبى صح أن يكون كرامة لولى إلا ما ثبت اختصاصه بالنبى ﷺ كالكتاب المبين ، وولد دون والد ، وقلبِ جمادٍ بهيمة .

ومذهب جمهور أهل السنة أن كل ما كان معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى مطلقًا ولم يستثنوا شيئًا.

والفرق بين المعجزة والكرامة: أن المعجزة يدعيها النبى ﷺ لنفسه ويستدعيها متى أراد، والكرامة لا يدعيها الولى لنفسه ولا هى بحكمه بحيث يستدعيها متى أراد. بل تارة تظهر عليه اختياراً وتارة تظهر عليه اضطراراً، وتارة لا تظهر، وليس من شرط الولى أن تكون له كرامة، ولا يؤثر ذلك فى ولايته. والنبى ليس كذلك فإنه يجب أن يكون له معجزة لأن الرسل والأنبياء عيلهم الصلاة والسلام بُعثوا حجة على الناس يدعونهم إلى الله فلابد لهم من المعجزة لإقامة البرهان.

والصحيح أنه يصح إظهار الكرامات من الولى، وأنه يجوز أن يتحدى على ولايته، وأن ما تحدى به لا يدل على ولايته إلا ظنًا لا قطعًا بخلاف النبى، هذا من حيث العلم، **وأما من حيث الطريق** فقد قال شيخنا أبو العباس زرُّوق رضي الله عنه: إظهار الكرامات وإخفاؤها على حسب النظر لأصلها؛ فمن عبّر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة مع ربه، ومن عبّر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء، وقد ثبت إظهار الكرامات من قوم كالشيخ أبى العباس المرسى وثبت إخفاؤها من آخرين كابن أبى جمرة رضى الله عنهما. ثم قال: ومن الناس من يغلب عليه الغنى بالله فتظهر له الكرامات وينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام ولا توقف كالشيخ أبى محمد عبد القادر رضي الله عنه، وعامة متأخرى الشاذلية، ومنهم من يغلب عليه الفقر إلى الله فيكل لسانه ويتوقف مع جانب الورع كابن أبى جمرة وغيره، ومن الناس من تختلف أحواله فتارة وتارة، وهو أكمل الكمال لأنه حالُهُ عليه الصلاة والسلام إذ أطعم ألفا من صاع وشد الحجر على بطنه فافهم.

والكرامات قسمان: قسم يكون لجميعهم كالمشى على الماء، والطيران فى الهواء، وقسم لخاصتهم كإحياء الموتى وقلب الأعيان، وإيجاد المعدوم، ووراء هذين الكرامة الكبرى: وهى تمام الاستقامة ظاهراً وباطنًا وهى مطمح أنظار العارفين وبغية المقربين.

ظهور الكرامة

لنفسه وغيره اختيارا	وتنتفى وتظهر اضطرارا

أشرت بهذا البيت إلى أن الكرامة قد تظهر فى الولى لنفسه، وقد تظهر فيه لغيره، وفائدة ظهورها فى الولى لنفسه: تعريفه بقدرة الله، وأنها حاكمة على العوائد ولا تتوقف على الأسباب، وأن الواقف مع الأسباب مخذول، والنافذ إليه منها بالعناية موصول.

وفائدة ظهورها فى الولى لغيره: تقوية يقين من ظهرت له فيه أو إيجاد اليقين عنده لينتفع به، وهى مُثَبِّتة لمن ظهرت منه، ومقوية له على مجاهدته، ودوام عبادته، ولذا قد يجدها أهل البدايات لاحتياجهم إلى مشجع على جهادهم، ويفقدها أربا ب النهايات إذ لا يحتاجون إليها مع تمكنهم ورسوخهم.

والناس فى الكرامة ثلاثة أقسام: فقسم يجعلها الغاية فإن وجدها عظّم من ظهرت عليه، وإن فقدها لم يتوجه بالتعظيم إليه. وقسم قال: وما هى الكرامات؟ إنما هى خدع يخدع بها أهل الإرادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلجُوا مقامًا ليس هو لهم، ويقال لهذا القسم إنما تكون خدعا لمن وقف عندها وفرح بها. وهى مرتبة الربانيين لمن لم يفرح بها ويسكن إليها. قال إمامنا وسيدنا أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه: والقول الفصل فى ذلك أنها لا ينبغى أن تطلب أدبًا مع الله، ومن ظهرت عليه عُظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع ربه. **والقسم الثالث:** أن تظهر فيه الكرامة لغيره، وفائدتها تعريف من شاهدها بصحة طريق من شهدت منه لأنه إما جاحد فيعترف أو كافر فيؤمن أو شاكّ فى ولاية هذا العبد فيوقن بها. والله المستعان.

النتائج تتبع المقدمات

وعادة الخلاق فى المسبَّبِ	مجيئُه على وزان السبب
فقائم منها وذو اعوجاج	بالميل أو بالعدل فى المنهاج

قال الإمام الشاطبى فى الموافقات: عادة الله فى المسببات أن تكون على وزان الأسباب فى الاستقامة والاعوجاج والاعتدال والانحراف؛ فالخوارق مسببات عن الأسباب التكليفية. فبقدر اتباع السنة فى الأعمال وتصفيتها من شوائب الأكدار،

وغيوم الأهواء تكون الخارقة المترتبة، فكما أنه يعرف من نتائج الأعمال العادية صواب تلك الأعمال العادية أو عدم صوابها كذلك ما نحن فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: 7]، وقال: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 52]. «إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم أياها» وهو عام فى الجزاء الدنيوى والأخروى، وإذا ثبت هذا ـ فما ظهر فى الخارقة من استقامة أو اعوجاج فمنسوب إلى الرياضة المتقدمة، والنتائج تتبع المقدمات بلاشك.

ومن هنا لا تقبل الخارقة إلا بعد عرضها على الشريعة فإن ساغت فيها وإلا رفضت، إلا خوارق الأنبياء فلا نظر فيها لأحد لعصمتهم.

وطريق عرضها: أن تعرض الخارقةمن مجارى العادات فإن ساغ العمل بها عادة وكسبا ساغت فى نفسها وإلا فلا: كالرجل يكاشف بامرأة أو عورة بحيث اطلع منها على ما لايجوز له أن يطلع عليه وإن لم يكن مقصوداً له، أو رأى أنه يدخل على فلان بيته وهو يجامع زوجته ويراه عليها، أو يكاشف بمولود فى بطن امرأة أجنبية بحيث يقع بصره على بشرتها أو شيء من أعضائها التى لا يسوغ النظر إليها في الحس ،و يسمع نداءً يحس فيه الصوت والحرف يقول له: أنا ربك ،أو يرى صورة مكيفة مقدرة تقول له: أنا ربك ،أو يرى ويسمع من يقول له: أحللت لك المحرمات وما أشبه ذلك من الأمور التى لا يقبلها الشرع بحال. وبالله التوفيق.

الخوارق وميزان الشرع

وما أباه الشرع من خوارق	وهمٌ وتخييلٌ وفعلُ مارقِ

أشرت بهذا البيت إلى أن الخوارق: إنما تعتبر إذا لم تخرم حكمًا شرعيًا ولا قاعدة دينية. فإن ما يخرمها ليس حقًا فى نفسه بل إما وهمٌ أو خيال أو إلقاءُ شيطان كالحاكم الذى رأى فى منامه النبى ﷺ ـ وقد شهد عنده عدلان فى أمر ـ يقول له لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطل. فمثل هذه لا معتبر بها فى أمر ولا نهى ولا بشارة، ولا نذارة لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة.

قال الإمام الشاطبى: الاعتبارات الغيبية مهملة بحسب الأوامر والنواهى الشرعية، ومن هنا لم يعبأ الناس من الأولياء وغيرهم بكل كشف أو خطاب خالف المشروع بل عدوا أنه من الشيطان.

الشيطان وأبو ميسرة:

حكى القاضى عياض عن الفقيه أبى ميسرة المالكى : أنه كان ليلة بمحرابه يصلى ويدعو ويتضرع ، وقد وجد رقة ، فإذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ، ثم بدا له وجه كالقمر ، وقال له : تمل من وجهى يا أبا ميسرة فأنا ربك الأعلى ، فبصق فيه وقال : اذهب يالعين عليك لعنة الله .

الشيطان مع سيدى عبد القادر الجيلانى:

وكما يحكى عن الشيخ عبد القادر أنه عطش عطشًا شديداً فإذا سحابة قد أمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ، ثم نودى يا فلان أنا ربك وقد أحلَلت لك المحرمات . فقال له : اذهب يا لعين فاضمحلت السحابة ، وقيل له : بمَ عرفت أنه إبليس؟ قال : بقوله قد أحللت لك المحرمات . وهذه وأشباهها لو لمَ يكن الشرع حكمًا فيها لما عرف أنها شيطانية .

ميزان الخوارق الإلهية من غيرها:

قال الإمام الشاطبى : ومن الفوائد أن ينظر إلى كل خارقة على يد أى أحد ، فإن كان لها أصل فى كرامات الرسول ﷺ ومعجزاته فهى صحيحة ، وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة وإن ظهر ببادى الرأى أنها كرامة ؛ إذ ليس كل ما يظهر على يدى الإنسان من الخوارق بكرامة- بل منها ما يكون كذلك ومنها ما لا يكون كذلك وبيان ذلك بالمثال :

أن أرباب التصريف بالهمم والتقربات بالصناعة الفلكية والأحكام النجومية قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة وهى كلها ظلمات بعضها فوق بعض - ليس لها فى الصحة مدخل ، ولا يوجد لها فى كرامات النبى ﷺ منبع - لأنه إن كان ذلك بدعاء مخصوص فدعاء النبى ﷺ لم يكن على تلك النسبة ولا تحـرَّى فيه تلك الهيئة ولا اعتمد على قران الكواكب ولا التمس سعودها أو نحوسها . بل تحرى مجرد الاعتماد علىَ من إليه يرجع الأمر كله واللجأ إليه ، معرضًا عن الكواكب ، وناهيًا عن الاستناد إليها .

وإن كان بغير دعاء كتسليط الهمم على الأشياء حتى تنفعل فذلك غير ثابت

النقل - بل هو تدبير فلسفي لا شرعى، وإن كان الإنفعال الخارق حاصلاً به فليس ذلك دليلاً على الصحة - كما أنه قد يتعدى ظاهرًا بالقتل والجرح - بل قد يوصل بالعين والسحر إلى أمثال ذلك، وهذا الموضع مزلة قدم للعوام ولكثير من الخواص فليتنبه له. أ هـ. الموافقات الجزء الرابع ص263.

الولاية قسمان

وغالبا تُنال باكتساب وقد تكون منحة الوهاب

أشرت بهذا البيت إلى أن الولاية قسمان: قسم يكتسب بالجد فى الطاعات والمسابقة فى الخيرات، والتزام الأوامر، واجتناب المنهيات بقدر الطاقات، وقسم يمنحه الله لمن شاء، والله أعلم بمن يستحق العطاء.

ولا تنافى الزلة الولاية وقد تزول فارجه الوقاية

أشرت بقولى: «ولا تنافى الزلة الولاية» - إلى أن الولاية لا تنافى الزلة فقد تصدر الزلة من الولى لأنه ليس بمعصوم وقد يكون محفوظًا من الإصرار عليها، وقد لا تظهر منه زلة، ولله در الإمام الشاطبى إذ يقول: الصوفية كغيرهم ممن لم تثبت لهم العصمة، ويجوز عليهم الخطأ والنسيان والمعصية كبيرها وصغيرها والبدعة محرمها ومكروهها، قال: وقد قرر الإمام القشيرى ذلك أحسن تقرير حين سئل: هل يكون الولى معصومًا؟ قال: أما وجوبا كما يكون فى الأنبياء فلا، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب وإن حصلت منه هفوات أو زلات أو آفات فلا يمتنع ذلك فى حقهم، قال: وقد قيل للجنيد: العارف يزنى؟ فأطرق رأسه مليًا ثم رفع رأسه وقال: وكان أمر الله قدرًا مقدورا. أ. هـ.

لا يقتدى بهم فى غير المشروع:

وإذا كانت المعاصى والبدع والأخطاء جائزة عليهم واقعة منهم حق علينا احتياطًا لديننا واستبراء لعرضنا وإرضاء لربنا أن لا نقتدى بهم فيما يشكل علينا من فعلهم وقولهم بل نَعرض ما جاءوا به على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما ساغ فيهما استسغناه وعملنا به وإلا رفضناه وكنا بذلك متبعين لآثارهم، مهتدين بأنوارهم.

والخلاصة أن عملهم إن لم يكن له أصل فى الشريعة رفض لأنهم غير معصومين والشريعة حجة عليهم وليس أحد منهم حجة على الشريعة ولله الحجة البالغة .

وأشرت بقولى : «وقد تزول فارجه الوقايه» إلى أن الولاية ليست كالنبوة عطاء لا يسترد، وخلعة لا تنزع، وإنما هى عارية قد يستردها المعير، وقد يدرك ربها الافتتان حتى يسلب الإيمان، فنسأل الله أن يقينا الخذلان ويمنحنا الرضوان .

وقل سلامًا منك ذا الإنعام	من ختم برصيصاء أو بلعام

ذكرت فى هذا البيت مثالين أدل بهما على أنه يجوز أن تزول ولاية الرحمن وتحل محلها ولاية الشيطان كما حصل لبرصيصا العابد وللعالم بلعام .

قصة برصيصا:

قال الإمام ابن كثير فى التفسير : قال ابن جرير : قال الإمام على رضي الله عنه : إن راهبا تعبد ستين سنة، وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنَّها، ولها أخوة، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها، قال : فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده، فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك -إنك أعييتنى - أنا صنعت هذا بك فأطعنى أنجك مما صنعت بك، فاسجد لى سجدة -فسجد- فلما سجد له قال : إنى برىء منك . إنى أخاف الله رب العالمين . فذلك قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر:16]، ثم ذكر لها رواية أخرى عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم، ثم قال : واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا . والله أعلم .

قصة بلعام:

قال الإمام ابن كثير قال ابن عساكر : كان بلعام يعرف اسم الله الأعظم فانسلخ من دينه . «له ذكر فى القرآن»، وحاصل قصته : أن موسى عليه السلام لما نزل فى أرض بنى كنعان من الشام أتى قوم بلعام فقالوا له : هذا موسى بن عمران فى بنى اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويجعلنا لبنى إسرائيل، وإنا قومك، ليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة فأخرج فادع الله عليهم، قال : ويلكم نبى الله معه الملائكة

والمؤمنون، كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟، قالوا: ما لنا من منزل. فلم يزالوا به يرفقونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجهًا إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى إسرائيل وهو جبل حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها ـ حتى إذا أزلقها أذن لها فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا؟ تذهب إلى نبى الله والمؤمنين لتدعو عليهم؟ فلم ينزع عنها فضربها ـ فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسبان على عسكر موسى وبنى إسرائيل، جعل يدعو عليهم، ولا يدعو عليهم بشرّ، إلا صرف الله لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله لسانه إلى بنى إسرائيل- فقال له قومه: أتدرى يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم، وتدعو علينا، قال: فهذا مالا أملك. هذا شيء قد غلب الله عليه. قال: واندلع لسانه فوق صدره ـ فقال لهم: قد ذهبت منى الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال. جَمِّلوا النساء وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنا رجل منهم واحد كفيتموهم -ففعلوا فلما دخل النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين «اسمها كسبتنى ابنة صور رأس أمته» برجل من عظماء بنى إسرائيل. «وهو زمرى بن شلوم رأس سبط بنى شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبرهيم عليه السلام» ـ فلما رآها أعجبته ـ فقام فأخذ بيديها وأتى بها موسى، وقال: إنى أظنك ستقول: هذه حرام عليك لا تقربها، قال: أجل هى حرام عليك، قال: فوالله لا أطيعك فى هذا فدخل قبته فوقع عليها، وأرسل الله عز وجل الطاعون فى بنى إسرائيل -وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ـ وكان غائبًا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ـ فجاء والطاعون يجوس فيهم، فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها، ثم دخل القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحيته (وكان بكر

العيزار) وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون. فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفا، والمقلل لهم يقول عشرون ألفا في ساعة من نهار. فمن هُنَالِكَ تعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوا الرقبة والذراع واللحيَ، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنه كان بكر أبيه العيزار. أ. هـ.

ففي بلعام بن باعوراء أنزل الله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176,175]، وإنما ذكرت قصة برصيصاء وبلعام على طولهما - حتى لا يغتر ذو طاعة بطاعته مهما أخلص وطالت مدتها فبرصيصا كم اختلى من الأعوام وعلت منزلته عند الخاص والعام ثم فتن فزنى وفجر، وقتل وكفر فمأواه سقر، وبلعام عَبَدَ الله وأكثر من تقواه فمنحه أسمه الأعظم الذي إذا سئل به أجاب، ثم فتنه فدعا به على حزب الرحمن - فكانت غايته الخذلان واتباع الشيطان فمات على الكفران ومأواه النيران.

فضل الأنبياء

وإن أسمى ما ينال الأوليا	لدون أدنى ما ينال الأنبيا
بل إنّ ما أوتوه مثلُ قطرةِ	قد رشحتْ من أبحر النبوةِ

أشرت بهذا البيت والذي بعده - إلى أن فضل كل نبي عليه السلام على كل ولي بمعنى أكثرية الفضائل والفواضل في الدنيا، وأكثرية الثواب والقرب من الله تعالى في الآخرة واضح بيِّن كالشمس لمن تدين بالشريعة الحقة، وعلم حقيقة النبي والولي وما لهما من الفضائل والفواضل، وما يترتب على ذلك من المراتب الدنيوية والسعادة الأخروية. فإن النبي ﷺ مشرف بالوحي وزيادة القرب من الله تعالى ومشاهدة الملك، وغاية الخلوص، ونهاية التوجه إلى الله تعالى، ومبعوث لصلاح العالم ونظام المعاد والمعاش، ومأمون العاقبة ومكمل بزيادة الكمالات العلمية

والعملية، ومكرم عند الله تعالى كما يدل على ذلك جميع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وخلاصة معنى البيتين أن أسمى ما يناله الأولياء من المعارف والمقامات أقل من أدنى ما يناله الأنبياء من الدرجات، فنهايات الأولياء منقطعة عن مبادىء مقامات الأنبياء فالولى مهما علا لا يصل إلى شيء من مقامات النبوة وكرامة الولى معجزة لنبيه لأن كرامته علامة صدقه. وصدق التابع يدل على صدق المتبوع، قال الشيخ أبو يزيد قدس سره: مثال ما حصل للنبى ﷺ كزق فيه عسل رشحت منه قطرة ـ فتلك القطرة تعدل كل شيء حصل للأولياء جميعًا، والذى فى الزق مثال ما حصل للنبى ﷺ.

والأنبياء مثلهم فى النسبة	لختمهم إمام كل أمة(1)
وكل ما نالوه من أسرار	أساسه وساطة المختار (2)

1- حاصل معنى هذا البيت: أن مَثَلَ ما حصل لسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل زقٍّ فيه عسل يترشح منه قطرة. فمثْلُ قطرة مثْلُ ما ناله سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما فى الزق مثل ما حصل لنبينا ﷺ أ. هـ. ذكره العز إبن عبد السلام عن سيدى أبى اليزيد البسطامى.

2- أشرت بهذا البيت إلى أن جميع ما أعطيَتهُ الأمة من المزايا والكرامات والمكاشفات والتأييدات وغيرها من الفضائل إنما هى مقتبسة من مشكاة نبينا ﷺ لكن على مقدار الاتباع- فلا يظن ظان أنه حصل على خير بدون وساطة نبوية، كيف وهو السراج المنير الذى يستضىء به الجميع، والعلم الأعلى الذى به يهتدى فى سلوك الطريق. وقلت:

سر الوجود وقطبُه ومنارُه ... وسفينُه ملاحُه والحادى

وجماله وسناؤه وكماله ... والمنبع الفياض بالإسعاد

يا خير خلق الله سرك قد سرى ... فى الخلق مسرى الروح فى الأجساد

المرسلون وكل من هو مهتدٍ ... لهمو تمدُّ بقدر الاستعداد

إن جاء قبلك آدم وسواه من رسل فأنت ختامهم والبادِ
يا مرسلا لهمو ومَن بُعثوا له الجندُ تسبق خيرة القواد

وفي شرحي على «روضات الخطيب» وفي مدحه ﷺ : قال في الإبريز إن أرباب الكشف والعيان يشاهدون سيد الوجود ﷺ ويشاهدون ما أعطاه الله عز وجل وما أكرمه به ربه مما لا يطيقه غيره، ويشاهدون غيره من المخلوقات؛ الملائكة والأنبياء وغيرهم ويشاهدون ما أعطاهم الله من الكرامة، ويشاهدون المادة سارية من سيد الوجود ﷺ إلى كل مخلوق في خيوط من نور فائضة من نوره ﷺ ممتدة إلى ذوات الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، وذوات غيرهم من المخلوقات فيشاهدون عجائب ذلك الاستمداد وغرائبه.

أثر محبة النبي ﷺ

فاشغف به واسلك سبيل ربه فقدرُ سرِّ المرءِ قدر حُبِّه

وإذا كان كل خير وصل إليك من طريقه ﷺ فالواجب عليك أن تشغف به وأن يكون حبه فوق كل حب.

قال ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**.

قال القاضي عياض: إن ذلك شرط في صحة الإيمان لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال. وقال غيره: اعتقاد الأعظمية ليس مستلزمًا للمحبة إذ قد يحب الإنسان إعظام شيء مع خلوه عن محبته.

فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه، ولا يكون الإنسان محبًا له حتى يطيعه في كل ما جاء به. واعلم أن محبة رسول الله ﷺ قوت القلوب وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات وهي روح الإيمان والأعمال والأحوال والمقامات.

وإذا كان الإنسان يحب من أسدى إليه معروفًا منقطعًا أو دفع عنه مضرة زائلة أو رأى صورته جميلة أو أخلاقه حميدة- فكيف بهذا النبي الكريم الجامع لمحاسن الأخلاق ومكارم الأفعال، وقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة، وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة،

فاستحق أن نحبه فوق محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلنا والناس أجمعين.

وذكر مقاتل بن سليمان: أن عبد الله بن زيد الأنصارى كان يعمل فى جنة له فأتاه ابنه فأخبره بوفاة النبى ﷺ فقال: اللهم أذهب بصرى حتى لا أرى بعد حبيبى محمد أحد فكف بصره.

قال فى الأنوار المحمدية: وفى القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات.

قال ابن القيم: ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية حتى يعرف الله بطريق توصله إليه، ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب إليها بكليته، ويزهد فى التعلقات الفانية. فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه والشوق إليه. فإذا صدق فى ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله أستاذه وقدوته. أ هـ.

وبالجملة فقدر ما يصل إلى العبد من الخيرات قدر حُبّه سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم.

يارب بلغنا النهاية من هوى	خير البرية من به لك نرتقى
واقصر طريقتنا على منهاجه	ولنا به فى بحر حبك أغرق
ولتعف عنا يا عفو بجاهه	ولما به ترضى ويرضى وفق
وعلاك أشهدنا ونور جماله	وأمدنا مدد الرجال السبق
أرنا جنابك فى جنانك ربنا	وجواره فى دار خلدك حقق
وعليه صلّ مباركا ومسلما	وعلى صحابته وكل موفق

وارجع إلى روضات الخطيب ففيها علامات محبته ﷺ والله الموفق لكتاب نجمع فيه آثار محبته وآياتها - ومما قلته فى مدحه ﷺ:

غال فى مدحك المكمل غال	لا ترى من يقول أنت مغالى
كيف تغلو إذا مدحت نبيًا	خصه الله بالمكان الغالى
كل معنى يروق عينك منه	مستمد، وفضلهُ جد عال

لو جمعت العقول أجمع تبغى	وصـف طه وما احتوى من كمال
من وجـود إلى فناء وَجَـدّت	غـاية الجـد وارتقت فى الخيـال
واستعارت من الدرارى كلامًا	وأمـدت بـه يتيـم اللآلى
وأعـانت لهـا الملائكُ فيـمـا	تبتغيـه لكـان عيـنَ المحال

شرط الولى الحفظ

ومن عصاه، والولاية ادعـى	ولـو أتـى بالخـارقات انخـدعا
وكل من خـالف من سـواه	فـإنه مـتبع هـواهُ

من شرط الولى أن يكون محفوظًا كما أن من شرط النبى ﷺ أن يكون معصومًا فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع- قال القشيرى: سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول: قصد أبو اليزيد البسطامى بعض من وصف بالولاية فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم فى المسجد فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون أمينًا على أسرار الحق.

وقال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وآداب الشريعة.

والخـارقـات ليست عنوان الولاية: بل قـد تكون من أهل الغـواية مكرًا بهم واستدراجا ليستحسنوا حالهم إبقاءً لهم فيما أراد من الضلال والبعاد حتى لا يغتر السالك بيسير ما يفتح له ويعلم أنه لو طار فى الهواء ومشى على الماء لاينفعه ذلك حتى يؤدى ما وجب لله، ويسلك سبيل رسول الله ﷺ. وكل من خالف مولاه فإنه متبع هواه. قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**».

من استحل مخالفة الشريعة كفر

ومن يخالف شرعه الذى ظهر	ويستحـل فعله فقـد كفـر

من خالف الشريعة واستحل مخالفتها فقد كفر بالله تعالى ووجب قتله كمن ترك الصلاة واستحل تركها وزنى واستباح زناه، وشرب الخمر معتقداً حلها. وأكثر ما يكون هذا من الذين لم يستنيروا بنور العلم وعبدوا الله بأهوائهم واختلوا ببعض الأسماء فاستولت عليهم الشياطين واجتاحتهم عن الدين، وكشفت لهم بعض المغيبات فكاشفوا بها ففتنوا وفَتَنوا، وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل. قال في شرح الرائية للشريشي: وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الأذكار، وسجنوا أنفسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الراهبين والبراهمة والفلاسفة. **والوحدة وجمع الهم له تأثير في صفاء الباطن مطلقا** فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحب الذكر وسائر ما يحبه الله ويرضاه- وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ينتج صفاء في النفس يستعان به على كسب علوم ورياضة مما يعتني به الفلاسفة وكلما أكثر من ذلك كثر البعد عن الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسبه من العلوم وما يصدق له من الخواطر حتى يركن إليه ويستطيل على الناس ويزدريهم، ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام عن عنقه، وينكر الحدود والأحكام، والحلال والحرام، ويظن أن المقصود من العبادات ذكر الله، ويترك متابعة الرسول ﷺ. ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق. نعوذ بالله من الضلال. أ هـ. بتصرف.

ولم يكن خليفة الرحمن	لكنه خليفة الشيطان
فاحذر وحذر منه من عرفتا	وإن به اتصلت تلق المقتا
ولا تخف من جنه المستخدم	فأنت ذو عون من المنتقم

ولم يكن مَنْ هذا حاله خليفة الرحمن لأنه عصاه، وكان خليفة الشيطان لأنه عمل بما أوحاه، والواجب عليك أيها المريد الصادق أن تحذره على نفسك فتبتعد عنه كل البعد، وتُحذِّر منه من عرفت حتى يأمن شره لأن الدين النصيحة، وإن اتصلت به مقتك الله وحقت عليك كلمته، ولا تخف أن يسلط عليك شياطينه الذين

يستخدمهم، وجنّهُ الذين يتعبدونه ويتعبدهم فإنه إذا استعان عليك بالجن والشياطين، فعونك عليه رب العالمين الذى ينتقم من الظالمين.

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

أولياء الرحمن

﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]، هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 63]. وقد وصفهم الله فى أول سورة البقرة إلى قوله: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]، وفى أول سورة الأنفال إلى قوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 4]. وفى أول سورة المؤمنين إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 11]، وفى قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52]، وفى غيرهن من الآيات. فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم، الواقفون عند حدوده، فلا يحلون حرامًا، ولا يحرمون حلالاً، ولا يعدلون عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يحبون شيئًا حبَّ الله ورسوله.

وأولياء الشيطان:

المتلبسون بما يحبه قولاً وفعلاً، فإذا رأيت من يؤثر اللهو والسماع، ويقدِّم على السنة الابتداع، ويحث على المنكر والفجور علمت أنه وليُّ الشيطان، فإن اشتبه عليك فزنه فى ثلاثة مواطن: فى صلاته، ومحبته للسنة وأهلها ونفرته عنهم، وتحكيمها فى شأنه وشأن غيره. ولا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء وطار فى الهواء.

قال ابن القيم فى كتاب الروح: وبهذا يعلم الفرق بين **الحال الإيمانى والحال الشيطانى**

فإن الحال الإيمانى: ثمرة المتابعة للرسول ﷺ والإخلاص فى العمل وتجريد التوحيد.

ونتيجته: منفعة المسلمين فى دينهم ودنياهم، وهو إنما يصح بالاستقامة على السنة والوقوف مع الأمر والنهى.

والحال الشيطاني: سببه إما شرك أو فجور، وهو ينشأ من قرب الشياطين والاتصال بهم، ومشابهتهم، وهذا الحال يكون لعبَّاد الأصنام والصلبان والنيران والشيطان. فإن صاحبه لما عبد الشيطان خلع عليه حالاً يصطاد به ضعفاء العقول والإيمان ـ فكل حال خرج صاحبه عن حكم الكتاب وما جاء به الرسول فهو شيطاني كائنًا ما كان. وقد يكون الرجل صادقًا ولكن يكون ملبوسًا عليه بجهله فيكون حاله شيطانيًا مع زهد وعبادة وإخلاص، ولكن لبس عليه الأمر لقلة علمه بأمور الشياطين والملائكة وجهله حقائق الإيمان.

إيــاك والشيطان تقفو إثره ... فـتزل عن قـصد السبيل خطاكا

واحذر مخادعة الرجيم فربما ... تخذ الجميل إلى القبيح شباكا

ودعاك للشنعاء دعوة مخلص ... حتـــى إذا قـارفتها خلاكا

وقد حكَى هؤلاء وهؤلاء من ليس منهم بل متشبه صاحب حيل وأكاذيب، ومخاريق وألاعيب، ولا يُميَّز بين الحق والبهتان إلا بنور الإيمان.

تعبَّدنا بالشرع الظاهر ويكفر من يدعى أن للشريعة باطنا يخالف ظاهرها.

ومـن غـدا يـاطن يـحتج	فإنـه فـي بـاطـل يلـجّ
فمـا لغيـر الظاهـر انتهـاج	شرعًا ألم يقتل به الحلاج (١)

الله تعالى تَعبَّدنا بالشرع الظاهر فمن ادعى أن له باطنا يخالف ظاهره فهو كافر. فلا يصح أن ينتهج الإنسان فى سلوكه وتعبده غير الشريعة الظاهرة، وإلاَّ قتل بسيوفها الباترة، قال الشيخ طاهر الجزائرى: يكفر من زعم أن للشريعة باطنًا يخالف ظاهرها هو المراد بالحقيقة فأوَّلَ النصوص القطعية وحملها على غير ظواهرها كمن زعم أن المراد بالملائكة القوى العقلية وبالشياطين القوى الوهمية. وقال سيدنا أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه: إذا رأيت رجلاً يدعى حالاً مع أنه يخرجه عن

(1) (الحلاج) هو الحسين بن منصور فيلسوف متعبد وشى به للمقتدر فسجنه وعذبه وهو صابر وقطعت أطرافه الأربعة وأحرق وألقى رماده فى دجله وذلك لأنه شهد عليه أنه خالف الشريعة.... والله أعلم بحقيقته وتوفى سنة 309هـ.

الشرع فتجنبه ولا تقرب منه، ولا ترج فلاحه. وقال رضي الله عنه: إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس كلهم إلاَّ من يدلك على الله تعالى بإشارة صادقة وأعمال ثابتة، ولا ينقضها كتاب ولا سنة. وقال: من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعى.

١ـ ولا تخف إن تصف منك النية	فى الاعتراض منهمو أذية
فمن دفعت عنه يدفع عنكا	وهو أشد فى الدفاع منكا
٢ـ ولا تلم من لم يكن بالصاحى	فما على المأخوذ من جناح
ولا تخالطه فما يجديكا	وقد ترى منه الذى يرديكا

1- لاتخش يامن صفت نيتك فى المدافعة عن دينك فاعترضت على من يخالفون تعاليمه، وينبذونها وراء ظهورهم أن يلحقك ضرر من قبلهم فإنك ما دفعت إلاَّ عن ربك، وربك يدفع شرهم أن يصل إليك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38]، وأما من قام ليقال وهمه الجدال فقد يلحقه الوبال.

2- أشرت بهذين البيتين إلى أن بعض الناس يلوم المجذوب أو المأخوذ فيما صدر عنه وهو أحق باللوم منه؛ إذ شرط التكليف العقل والمجذوب مسلوب منه عقل التكليف فلا جناح عليه ولو أخل بالمأمورات أو ارتكب المنهيات، والواجب على العاقل أن لا يخالطه وأن يفر منه ويبتعد كل البعد عنه خشية أن يقلده فى أفعاله أو يستريح إلى أقواله، وربما استفاد منه الذى يرديه. قال المالكية: لا يجوز صحبة المجذوب الذى مضى على جذبه لأنه ساقط التكليف وصاحبه مكلف فيمرق بذلك من الدين. أ. هـ. «حاشية المرشد المعين ـ الجزء الأول». ومن المجاذيب من تحفه عناية الله وتتم عليه النعمة، فلا يضيع ما وجب من الخدمة، ومنهم من تفوته الصلاة فى حال الاستغراق، فيقضيها إذا أفاق.

الفرق بين المجذوب والمجنون

قال الإمام ابن خلدون: ومن هؤلاء المتصوفه المريدين قوم بهاليل معتوهون أشبه شىء بالمجانين من العقلاء -وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين، وعَلِم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع أنهم

غير مكلفين، ويقع لهم من الإخبار عن المغيبات عجائب لأنهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب. وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة وهو غلط فإنه فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها، وإذا كانت النفس الإنسانية ثابتة الوجود فالله يخصها بما يشاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين، وإنما فقد لهم العقل الذى يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس(يعرف بها المعاش). ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف، وإذا صح ذلك فاعلم أنه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم. ولك في تمييزهم **علامات منها: أن هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها** أصلاً من ذكر وعبادة ولكن على غير الشروط الشرعية لعدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلا. ومنها أنهم يخلقون على البله من أول نشأتهم، والمجانين يعرض لهم الجنون بعد برهة لعوارض بدنية فيذهبون بالخيبة، ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لأنهم لا يتوقفون على إذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم. أ. هـ بتصرف يسير.

قال الإمام التفتازاني في شرح المقاصد: إن العارف لا يسأم من العبادة، ولا يفتر في الطاعة، ولا يسأل الهبوط من أوج الكمال إلى حضيض النقصان، والنزول من معارج الملك إلى منازل الحيوان بل ربما يحصل له كمال الانجذاب إلى عالم القدس، والاستغراق في ملاحظة جناب الحق بحيث يذهل عن هذا العالم ويخل بالتكاليف من غير تأثم لكونه في حكم غير المكلف كالنائم وذلك لعجزه عن مراعاة الأمرين وملاحظة الجانبين فربما يسأل دوام تلك الحالة، وعدم العود إلى عالم الظاهر، وهذا الذهول هو الجنون الذى ربما يرجح على بعض العقول والمتسمون به هم المسمون بمجانين العقلاء، وبهذا يظهر فضل الأنبياء على الأولياء فإنهم مع أن استغراقهم أكمل، وانجذابهم أشمل - لا يخلون بأدنى طاعة، ولا يذهلون عن هذا الجانب ساعة لأن قوتهم القدسية من الكمال بحيث لا يشغلهم شاغل عن ذلك الجناب ولا يعد عليهم أدنى زلة عن منهج الصواب. أ. هـ.

فائدة: التصرف فى عالم الأكوان لصنفين من البشر هما الأنبياء بالقوة الإلهية التى فطرهم الله عليها، والسحرة بالقوة النفسانية التى جبلوا عليها.

وقد يحصل للأولياء تصرف يكتسبونه بالملكة الإيمانية، وهو من نتائج التجريد ولا يقصدون إلى تحصيله، وإنما يأتيهم عفوا والمتمكنون منهم إذا عرض لهم أعرضوا عنه، واستعاذوا بالله منه، وعدوه محنة كما يحكى عن أبى يزيد البسطامى أنه أتى فى شاطىء دجلة عشاء متخفرًا فالتقى له طرفا الوادى فاستعاذ بالله وقال: لا أبيع حظى من الله بدانق وركب السفينة عابرًا مع الملاحين.

إسقاط الأعمال كفر

ومن يقل ولم يجن سقطا	**تكليفه فإنه قد سقطا**
وإنه شر من الكفار	**وما له إلا خلود النار**

قال الإمام الجنيد ﵁: الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر النبى ﷺ، وقال أيضًا لرجل ذكر المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالاً من الذى يقول هذا[1] فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها. وقال وكان فى يده سبحةلرجل سأله: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ فقال: طريق به وصلت إلى ربى لا أفارقه. وكان يدخل حانوته كل يوم ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة، ثم يعود إلى بيته. وقال الغزالى: لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه التكاليف فلا شك فى كفره، وقتله أفضل عند الله من قتل سبعين كافرًا لأنه يغر الناس بظاهره. انتهى. وقال المحقق الأمير فى رسالته: والداهية الطامة أنهم إذا نهوا قالوا لا تعترض وهذا أدهى وأمر حيث يجعلون تعليم السنة المحمدية اعتراضًا ينهى عنه وما خالفها إسلامًا وإنقيادًا، وهذا أمر يخشى منه الكفر والردة. أ. هـ.

---

(1) لأنه عاص بزناه وسرقته. أما إسقاط الأعمال كفر.

وقال الشيخ طاهر الجزائرى: لا يصل العبد مادام عاقلاً بالغًا إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهى ويباح له ما شاء ومن زعم ذلك فقد كفر.

وقال أبو سعيد الخراز: كل باطن خلافه الظاهر فهو باطل، وقالوا: علامة صحة الأحوال استقامة الأفعال، قال ﷺ لمن قال له: أوصنى. قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»، وقال سيدى إبراهيم الدسوقى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكم والدعاوى التى لا يشهد لها كتاب ولا سنة فإنها سبب طردكم من حضرة ربكم، وقال أيضًا: طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة فمن أحدث فيه ما ليس فى الكتاب والسنة فليس هو منا ولا من إخواننا ونحن بريئون منه فى الدنيا والآخرة، ولو انتسب إلينا بدعواه. وقال الشيخ أحمد أبو شرقاوى:

ما دام الشخص ثابت العقل مختاراً فهو مخاطب بالشريعة لا تسقط عنه فى حال من الأحوال، فإن ادعى ذلك فهو زنديق. وهذا إمام المرسلين وسيد العارفين ﷺ قام حتى تورمت قدماه فقيل له: كيف تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» وأكمل الناس فى المحبة والإخلاص الأنبياء ولاسيما سيدهم ﷺ مع أن التكاليف فى حقهم أتم وأكمل حتى يعاتبوا بأدنى زلة بل بترك الأفضل.

والحاصل أن الصوفى يضع الأشياء فى مواضعها. ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم؛ يقيم الخلق مقامهم، ويقيم أمر الحق مقامه، ويستر ما ينبغى أن يستر، ويظهر ما ينبغى أن يظهر، ويأتى بالأمور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص، والله الموفق. وقد قدمت لك قريبًا أن الشيطان يستولى على المتعبدين بغير الشريعة المختلين للذكر بأسماء ولم تتوفر لهم شروط الخلوة، ويحملهم بما يزين لهم على خلع ربقة الإسلام[1] وإنكار الحلال والحرام والأحكام.

---

(1) ما لزمهم من حدوده وأحكامه.

السمعيات

وكل ما جاء عن المعتقد	فى الذكر أو نقل الثقات اعتقد
مثل سؤال القبر والعذاب	والحشر والمعاد للحساب

وجب عليك أيها المكلف أن تعتقد كل ما جاء عن المعتقد وهو النبى ﷺ فى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة وذلك مثل :

سؤال الملكين منكر ونكير للمقبور– قال ﷺ : **«إن العبد إذا وُضع فى قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا النبى محمد ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله وأما الكافر والمنافق فيقول : لا أدرى»** رواه الشيخان ، وفى رواية لأبى داود **«فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ وما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول المؤمن : ربى الله ، ودينى الإسلام ، والرجل المبعوث رسول الله ﷺ ، ويقول الكافر فى الثلاث : لا أدرى»** . وفى رواية للترمذى : **«يقال لأحدهما المنكر ، والآخر النكير»** . ونقل الجلال السيوطى عن ابن يونس أن ملكى المؤمن مبشر وبشير .

عذاب القبر ونعيمه:

ووجب أن نعتقد أن عذاب القبر ونعيمه حق . قال ﷺ : **«عذاب القبر حق»** ، ومر على قبرين فقال : **«إنهما ليعذبان»** . رواه الشيخان وقال ﷺ : **«القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»** . قال الشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه «الجواهر الكلامية» ما حاصله : اعتقد أن الميت إذا وُضع فى قبره تعاد روحه إلى جسده بقدر ما يفهم الخطاب ، ويرد الجواب ، ثم يأتيه ملكان فيسألانه عن ربه ونبيه ، وعن دينه الذى كان عليه وعن الفرائض التى كان الله أمره بأدائها فإن كان الميت من الذين آمنوا وعملوا الصالحات أجاب عن السؤال بتوفيق الله أحسن جواب من غير خوف منهما ولا اضطراب فيكشف الله عن بصره فيفتح له بابًا من أبواب الجنة فيحظى بالنعيم العظيم . ويقال له : هذا جزاء من كان فى دنياه على الصراط المستقيم ، وإن كان الميت كافرًا أو منافقًا يدهش ولا يدرى ما يقول فى الجواب فيعذبانه حينئذ أشد

العـذاب ويكشف عن بصـره ويفـتح لـه باب من أبواب جـهنم، ويتنوع له العـذاب والألم، ويقـولان له: هذا جزاء من كفر بمولاه، وأتبع نفسـه وهواه. ثم لا فرق بين من دفن في القبر أو صار في بطن السبع أو قعر البحر فإن قيل إذا كان الميت تعاد إليه روحه ويسأل ثم يعذب أو ينعم فلأي شيء لا يرى الناس شيئاً من ذلك؟ فالجواب: أن الله يحجب أبصارهم عن ذلك امتحانًا لهم ليظهر من يؤمن بالغيب، ومن لا يؤمن به من ذوي الشك والريب، ولو رأى الناس ذلك لآمنوا كلهم، ولم يتميز الخبيث من الطيب، ويوضح هذا أن النائم قد يرى أشياء يُسَرُّ بها أو يحزن ولا يشعر مجاوره بذلك. وكذلك الميت يسأل في قبره ويجيب ويتنعم أو يتألم ولا يدري به أحد من الأحياء ولا يعلم. أ. هـ. بتصرف يسير. وقال الشيخ حسين الجسر: والمعذب إما أن يدوم عذابه إلى يوم القيامة، وإما أن ينقطع كما بعض عصاة المؤمنين.

والحشر:

بأن يحيي الله الخلق بعد فنائهم ويجمعهم للعرض والحساب.

والمعاد:

أي عَود الجسم بعد الانعدام بأجزائه وعوارضه كما كان، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47]. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27].

والحساب:

هو محاسبة الله الناس؛ كل واحد وتقريره على ما فعل من خير أو شر وتشهد على الجاحدين جوارحهم، وتقوم الحجة عليهم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 8,7].

الصراط

صراطه ميزانه والرؤية	ثابتة والحوض والشفاعة

الصراط حق، وهو كما في حديث مسلم: «جسر ممدود على ظهر جهنم أدق من

الشعرة وأحدُ من السيف» ، ففى الصحيح «يضرب الصراط بين ظهرى جهنم ، ويمر المؤمنون عليه ؛فأولهم كالبرق ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وأشد الرجال حتى يجيء الرجل ولا يستطيع يسير إلا زحفًا ـ وفى حافتيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكدوس فى النار» .

ميزانه:

الميزان حق وله لسان وكفتان تعرف بها مقادير الأعمال بأن توزن صحفها به- قال الله تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]. وروى الترمذى وحسنه حديث «يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق ، وينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر . ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ،فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : أحضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال إنك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفه والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع إسم الله شيء» .

قال الإمام السيوطى فى إتمام الدراية : ولا يكون الميزان فى حق كل أحد فالسبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا . وقال الشيخ طاهر : بعد أن يحاسب الله تعالى الناس ويقررهم على أفعالهم توزن أعمالهم لينكشف لكل واحد مقدار عمله . فمن رجح خيره على شره أعطى كتابه بيمينه وفاز فوزًا عظيمًا ، ومن رجح شره على خيره أعطى كتابه بشماله وخسر خسرانًا مبينًا .

والرؤية ثابتة:

أى رؤية المؤمنين ربهم قبل دخول الجنة وبعده حق . قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23,22] ، وفى الصحيحين : «أن الناس قالوا :

يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟»** فقالوا: لا يا رسول الله. فقال: **«هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟** قالوا: لا يا رسول الله. قال: **«فإنكم ترونه كذلك»**. وفيه أن ذلك قبل دخول الجنة، وروى مسلم حديث **«إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: أتريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»** وفي رواية ثم تلا هذه الآية: **﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾** [يونس:26]، أي فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إليه تعالى. ويحصل بأن ينكشف إنكشافًا تامًا منزهًا عن المقابلة والجهة إليه تعالى.

وأما الكفار: فلا يرونه لقوله تعالى: **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾** [المطففين:15]، وهذا لهم زيادة في الحسرة والندامة.

والحوض: حق ثابت. قال الإمام السيوطي: قال القرطبي: هما حوضان الأول قبل الصراط وقبل الميزان على الأصح -فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيردونه قبل الميزان والصراط، والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرًا. روى مسلم عن أنس قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: **«أنزلت عليّ آنفا سورة فقرأ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾** [الكوثر:1]. ثم قال: **«أتدرون ما الكوثر؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم- قال: **«فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء. يختلج العبد منهم فأقول: يارب إنه من أمتي فيقال: ما تدرى ما أحدث بعدك»**. وفي الصحيح: **«حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من الورِق (الفضة) وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعده أبدا»**. وفي رواية لمسلم: **«يشخب فيه ميزابان من الجنة»**، وفي لفظ لغيره **«يغتُّ فيه ميزابان من الكوثر»** وروى ابن ماجه حديث **«الكوثر نهر في الجنة، حافتاه الذهب، مجراه على الدرِ والياقوت تربته أطيب من المسك، وأشد بياضا من الثلج»**.

والشفاعة: حق، وهي أنواع:

أعظمها: الشفاعة في فصل القضاء والإراحة من طول الموقف، وهي مختصة بالنبي ﷺ بعد تردد الخلق إلى نبي بعد نبي. وقد ذكرتُ قصتها في كتابي «القصص

الحق» مفصلة مشروحة فانظره تنظر ما يريح فؤادك .

الثانية: الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب . قال السيوطى : قال النووى : وهى مختصة به وتردد فى ذلك التقيَّان ابن دقيق العيد والسبكى .

الثالثة: الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها . قال القاضى عياض : وليست مختصة به ، وتردد فيه النووى ، وقال السبكى : لم يرد تصريح بذلك ولا بنفيه .

الرابعة: الشفاعة فى إخراج من أدخل النار من الموحدين ، ويشترك فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون .

الخامسة: الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها . وجوز النووى اختصاصها به .

السادسة: الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار كما فى حق أبى طالب . وفى الصحيح : **«أنا أول شافع وأول مشفع»** وأنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : **«لعله تنفعه شفاعتى فيُجعل فى ضحضاح من نار»** . وروى البيهقى حديث **«خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين؟ لا ، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين»** .



علامات الساعة

نزول عيسى بن مريم

نزول عيسى قرب يوم البعث	وقتله الدجال أهل الخبث

نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال قرب الساعة حق. ففي الصحيح «لينزلن ابن مريم حكما عدلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية» الحديث، قال السيوطي رحمه الله: وروى الطيالسي في مسنده حديث «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر ماء ولم يصبه بلل، إنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويفيض المال: حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام وحتى يهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الأعور الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان في الحيات فلا يضر بعضهم بعضاً. يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه»، وفي روايه أنه يمكث في الأرض سبع سنين وقيل: هي الصواب والمراد بالأربعين في الرواية أنها مدة مكثه قبل الرفع وبعده فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة، ويقول شارح هذه العقيدة وناظمها إن رفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين لا مستند صحيحًا له إذ جرت عادة الله أن يرسل في سن الاكتمال وهو الأربعون فإذا أرسل في الأربعين فكم سنة دعا إلى الدين، ثم رفعه الله إليه، وقد ثبت في بعض خطب النبي ﷺ: «أنه لا يعمر نبي إلا نصف الذي يليه من قبل»، فإذا كان عمر النبي ﷺ ثلاثًا وستين سنة فعمر عيسى مائة وستة وعشرون فيكون رفعه وهو ابن ست وثمانين سنة ويمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة كما في رواية الطيالسي فتكون هي الموافقة لحديث الخطبة، والمعقولة في إنتشار العدل وظهور أثره من العمران، والأمان، والله أعلم.

الدجال:

وفي صحيح مسلم «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق» وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال» وفي مسند أحمد من حديث جابر: «يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار

من العلم،وله أربعون ليله يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعين ذراعاً فيقول للناس: أنا ربكم وهو أعور« وإن ربكم ليس بأعور» مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمها الله تعالى عليه وقامت الملائكة بأبوابهما -ومعه جبال من خبز، والناس فى جهد إلا من اتبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول له الجنة ونهر يقول له النار، فمن أدخل الذى يسميه الجنة فهو فى النار،ومن أدخل الذى يسميه النار فهو فى الجنة ويبعث معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة؛ يأمر السماء أن تمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس فيقول للناس: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب؟ فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا، ثم ينزل عيسى عليه السلام فيأتى فى السَّحَر، ويقول: أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الدجال الخبيث فيتطلعون فإذا هم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب ينماع أى يذوب كما يذوب الملح فى الماء فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله». وفى الصحيح أحاديث كثيرة فى ذلك -راجع خطب النبى ﷺ للخطيب النيدى.



المهدى عليه السلام

وقبله يجيئنا المهدىُ	كم منه إكرام وكم مهدى
مبايعا كرها أمام البيت	وإنه من خير آل البيت

وقبله أى قبل نزول عيسى عليه السلام يخرج المهدى ويفيض الخير على الناس، ويكثر منه الكرم، ويزداد المهديون بسببه ويبايع بالإمامة مُكرَهًا عند البيت الحرام، وهو من خيار آل بيت النبى ﷺ، وفى خطب النبى ﷺ لشارح هذه العقيدة ومؤلفها: عن أبى أمامة قال: خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال وقال: «**فتنفى المدينة الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص**» قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟ قال: «**هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم المهدى رجل صالح - فبينما إمامهم المهدى قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عيسى بن مريم وقت الصبح، فيرجع ذلك الإمام ينكص يمشى القهقرى ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم**». قال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: «**لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطوَّل الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه إسمى واسم أبيه إسم أبى يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جوراً وظلما، ويقسم المال بالسوية، ويجعل الغنى فى قلوب الأمة فيمكث فى الأرض سبعا أو تسعا، ثم لا خير فى عيش الحياة بعد المهدى**» وفى البخارى: «**كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**» أ. هـ. قال علماء الحديث: إن ذلك الإمام هو المهدى لورود الأحاديث بأنه يسبق الدجال ونزول عيسى بسبع سنين فيساعد عيسى على قتل الدجال، وفى بعض الآثار أنه يملك الدنيا. وأحاديث الدجال وعيسى والمهدى متواترة. ويبايع وهو كاره بعد أن يفر من البيعة من مكة إلى المدينة فيأتونه فيها فيفر منهم إلى مكة فيأتونه عند الركن ويقولون: إثمنا عليك ودماؤنا فى عنقك إن لم تمد يدك نبايعك فيبايعهم بين الركن والمقام فيلقى الله محبته فى القلوب، واعلم أن ظهوره قبل طلوع الشمس من مغربها. هذا وقد حاول ابن زيدون تضعيف أحاديث المهدى الواردة فيه بكل حيلة فلم يتهيأ له إلاَّ طعن نزر منها، وكثير من طعنه لا يسلم له وبالجملة فأحاديثه متواترة، والطعن فيها خروج عن الجادة وضلال، والله يقينا شر الأهواء والأهوال. وبما قدمت لك من كراهته مبايعته للإمامة تعلم كذب المدعين أنهم هو محاولين اعتقاد الناس فيهم بمختلف الحيل، وما هم إلا فى ضلال وخبل.

يأجوج ومأجوج

يأجوج مأجوج، طلوع الشمس	غربًا، وجم الفسق فسق الرأس

من علامات الساعة الكبرى يأجوج ومأجوج وهما أمتان عظيمتان أكثروا الفساد فى الأرض فى الزمن السالف. فلما وصل إلى ناحيتهم ذو القرنين شكا جيرانهم منهم إليه وكان الموصل بينهم مضيق بين جبلين فبنى فيه سدًا عاليًا جدًا من حديد وأفرغ عليه الرصاص المذاب فصار سدًا محكما أملساً لا يتيسر نقبه ولا الصعود عليه، فإذا آن أوان خروجهم انفتح السد بسبب من الأسباب فينتشرون فى الأرض، ويكثرون الفساد فيها فيلجأ الناس إلى الله فى رفع ضررهم فيهلكهم.

وقد جاءت أخبارهم فى الأحاديث الصحيحة، والقرآن الكريم، وأن بيننا وبينهم سدًا وحاجزًا لا يزول إلا إذا تحقق وعد الله، فهل ينبغى لعاقل أن يشك فيهم، بعد إخبار الله ورسوله عنهم، قل صدق الله ورسوله.

وما يدعيه بعض الناس من أن بعض المستكشفين لم يتركوا بقعة من البر والبحر والجبال إلا وصوا إليها ولم يظفروا بذلك السد ولا من خلفه لا يقدح فيما سمعته ـ لأن العقل يجوز أن على وجه الأرض أمكنة لم يهتد إليها بشر للآن، وعدم وجدان السائحين لا يلزم منه عدم الوجود، ومن الجائز أن يكون ذلك السد بسبب تقادم الزمان تراكمت عليه الأتربة والرمال واستحجرت حتى صارت مع الجبلين سلسلة من الجبال. قال الألوسى: ذكر بعض أحبار اليهود أن يأجوج ومأجوج فى منتهى الشمال حيث لا يستطيع أحد غيرهم السكنى فيه.

طلوع الشمس من مغربها:

فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا**»، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام: 158] أى يوم يأتى بعض آيات ربك الموجبة للايمان الاضطرارى ـ لم تنفع نفسا لم تكن آمنت من قبل إتيانها إيمانها بعده فى ذلك اليوم ـ ولا نفسا لم تكن كسبت فى إيمانها خيرا وعملاً صالحًا ـ ما عساها تكسب من خير فيه لبطلان التكليف الذى

يترتب عليه ثواب الإيمان والعمل الصالح لأن التكليف مبناه الاختيار، والثواب والعقاب مبنى على هذا التكليف وقد جاءت أحاديث كثيرة تفيد أن الآية التى أُبهمت فى الآية هى طلوع الشمس من المغرب كالحديث السابق وقال ﷺ: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى**». رواه مسلم. وليس بعزيز على قدرة الله تغيير مجرى الشمس، وجعل طلوعها من المغرب بدل المشرق. قال الشيخ أبو دقيقة فى مذكرته: وقد ورد أنه بعد ذلك تخرج نار من جهة عَدَن تسوق الناس إلى المحشر، فتنتهى الحياة الدنيا، وينتقل الناس إلى الدار الآخرة. أ. هـ.

إنتشار الفسق

ومن علامات الساعة - **جم الفسق**؛ أى كثرته، وفى الأثر: «**إذا ضيعت أمتى الصلوات، واتبعوا الشهوات، وكثرت الخيانات وقلت الأمانات وشربوا القهوات «الخمور» وتفاكهوا بشتيمة الآباء والأمهات، وأكل الربا، وفشا الزنا، وعم الفساد، واتخذوا كتاب الله لعبا، ومال الله دولا، واستحلوا الخمر بالنبيد، والحكم بالرشا، وتكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتباهوا بالمعصية فانتظروا الساعة**» وهو حديث طويل راجع كتابنا إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام خطبة (525).

ومن علامات الساعة **فسق الرأس** أى الحاكم، وفى الأثر: «**يا معشر الناس إن من أشراط الساعة أن تكون أمراء خونة ووزراء فسقة**»، راجع الإتحاف المذكور خطبة (524).

خروج دابة الأرض

ودابة الأرض بلا محاله	تبدى لكل دينه وحاله

ومن علامات الساعة **دابة تخرج من الأرض** تعلم الناس فى وجوههم فمن كان مؤمنًا جعلت له علامة يعرف بها إيمانه، ومن كان كافراً جعلت له علامة يعرف بها كفرانه، وتكلم الناس بأحوالهم. قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾ [النمل: 82]. والمعنى إذا قرب

مجيء الساعة أخرج الله دابة تكلم الكفرة أنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله الناطقة بمجيء الساعة ومباديها. وقد جاءت آثار كثيرة فى صفتها ونوعها. ومكان خروجها. الله أعلم بحالها، ولم يطالبنا الله بها. فحسبنا ما جاء فى القرآن وصحيح الآثار.

هدم الكعبة

خراب بيت الله بالأحباش	ورفع ذكر الله شر الغاشي

ومن علامات الساعة الكبرى **خراب الكعبة وهدمها** وسلب حليها وإخراج كنزها. روى الشيخان والنسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة. وعند أحمد عن ابن عمرو نحوه وزاد: ويسلبهاحليها، ويجردها من كسوتها. فلكأنى أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله. والسويقتين: تصغير الساقين. والأصيلع: من ذهب شعر مقدم رأسه. والأفيدع: من فى يديه اعوجاج. وقال ﷺ: «**اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة**». رواه أبو داود.

ووقت هدمها: بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحج، ولا يبقى فى الأرض من يقول: الله الله، وقيل هدمها زمن عيسى، والمعتمد الأول لأن زمن عيسى كله سلم وخير وبركة وأمن، وأنها قبلة المسلمين، والحج إليها أحد أركان الدين فينبغى أن تبقى ببقاء المسلمين، وأنها تهدم مع رفع القرآن. والله أعلم.

رفع القرآن

ومن علامات الساعة **رفع ذكر الله أى القرآن:** أخرج ابن ماجه بسند قوى والحاكم والبيهقى والضياء عن حذيفة رضي الله عنه: يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويُسرى على كتاب الله تعالى فى ليلة فلا تبقى فى الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس؛ الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا أبانا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها. فقال رجل لحذيفة: فما تغنى عنهم الكلمة - فأعرض عنهم حذيفة فأعاد عليه السؤال ثانيًا وثالثاً - فقال فى الثالثة: تنجيهم من النار. وروى الديلمى عن حذيفة وأبى هريرة قالا: يسرى على كتاب الله تعالى ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف إلا نُسخت، وروى عن

ابن عـمر: لا تقـوم الساعـة حتى يرفع القرآن من حيث جـاء فيكون لـه دوى حـول العرش كدوى النحل فيقول الرب عز وجل: مالك؟ فيقول: منك خرجت وإليك عدت أتلى فلا يعمل بى ـ فعند ذلك رفع القرآن.

فجور أهل الأرض

رجوع أهل الأرض للفجور	ومنتهاها نفخة فى الصور

ومن علامات الساعة: رجوع أهل الأرض للكفر والفجور:

روى ابن أبى شيبة عن ابن عمر قال: تبقى الأشرار بعد الأخيار عشرين ومائة سنة، وروى أيضًا عنه قال: يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة، وأخرج مسلم وغيره عن عائشة رضى الله عنها: «لا تذهب الأيام والليالى حتى تعبد اللات والعزى من دون الله». وأخرج الامام أحمد ومسلم عن ابن عمر قال: ثم يرسل الله يعنى بعد موت عيسى ريحًا باردة من قبَل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون فبما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها، وهم فى ذلك دارٌّ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ فى الصور. أ. هـ.

العلامة الأخيرة للساعة: النفخة الأولى فى الصور:

وهى التى أشرت إليها بقولى: «ومنتهاها نفخة فى الصور»: أى منتهى علامات الساعة النفخة الأولى فى الصور: والصور شىء كالقرن كبير جدًا ينفخ فيه إسرافيل أحد كبار الملائكة. قال الله تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾** [الزمر: 68]، وأخرج ابن جرير والطبرانى وأبو يعلى والبيهقى وأبو موسى الميدانى وعلى بن معبد، وعبد ابن حميد وأبو الشيخ عن أبى هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ: **«أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره**

إلى العرش ينظر متى يؤمر». قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «القرن». قلت: كيف هو، قال: «عظيم.إن أعظم دائرة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات :الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين. فيأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله فيأمر فيمدها ويطيلها ولا يفتر، وهى التى يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص:15]، فيسير الله تعالى الجبال فتمر مرّ السحاب فتكون سرابا، وترتج الأرض بأهلها رجًا فتكون كالسفينة الموقورة فى البحر تضربها الأمواج أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، وهى التى يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: 7,6]، فتميد الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ،وتولى الناس مدبرين ما لهم من الله من عاصم فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض فانصدعت من قطر إلى قطر فرأوا أمرًا عظيما ثم نظروا إلى السماء فإذا هى كالمهل، ثم انشقت فانتثرت نجومها، وانخسفت شمسها وقمرها» قال رسول الله ﷺ: «والأموات لا يعلمون معنى شىء من ذلك» قلت: يا رسول الله فمن استثنى الله فى قوله: ﴿إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68]؟ قال: «أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه. وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2,1]، فيمكثون فى ذلك ما شاء الله تعالى. ثم يأمر إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فيقول ملك الموت: قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول الله تعالى وهو أعلم: فمن بقى؟ فيقول: أى رب بقيت أنت الحى القيوم الذى لا يموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا، فيقول الله تعالى :فليمت جبريل وميكائيل فيموتان ،ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول: قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى: فليمت حملة العرش فيموتون، ويأمر الله العرش أن يقبض الصور من إسرافيل ثم يقول: ليمت إسرافيل فيموت، ثم يأتى ملك

الموت إلى الجبار فيقول: رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا يموت، وبقيت أنا، فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت - فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد طوى السماء والأرض كطى السجل للكتاب، وقال: أنا الجبار، لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه: لله الواحد القهار». أ. هـ. ثم يمكث الخلق كذلك ما شاء الله إلى أن ينفخ فى الصور نفخة القيام لرب العالمين.

خاتمة:

أخرج الشيخان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « **بين النفختين أربعون سنة** ».

وأخرج ابن المبارك عن الحسن: الأولى يميت الله بها كل حى، والأخرى يحيى بها كل ميت، وأخرج الشيخان عن أبَىّ عن النبى ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله تعالى من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمٌ واحدٌ وهو عَجْبُ الذنَبِ ومنه يركب الخلق يوم القيامة**».

تنبيه: قال القرطبى: قال علماؤنا: الأمم مجمعون على أن الذى ينفخ فى الصور إسرافيل. وقيل: إن الصور قرن من نور له أربع عشرة دارة ـ الدارة الواحدة كاستدارة السماء والأرض. فيه ثقب بعدد أرواح الخلق أجمعين. والله أعلم.



معراج النبى وإسراؤه

واجزم بمعراج الرسول الأكرم	مستيقظا بجسمه المكرم

اعتقد معراج النبى ﷺ بعد إسرائه مستيقظًا بجسمه. والإسراء هو سير النبى ﷺ من مسجد مكة إلى المسجد الأقصى فى القدس فى ليلة وهو ثابت بنص القرآن الكريم.

والمعراج: هو صعوده ﷺ تلك الليلة من المسجد الأقصى إلى السموات واجتماعه بالملأ الأعلى تشريفًا لهم به وإكرامًا له، وقد ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة، وهذا أمر ممكن أخبر به الصادق فيجب حمله على ظاهره، ولا يستغرب ممن سيّر الطير فى الهواء وجعل الكواكب تقطع فى دقيقة مسافة لا يقطعها الناس فى مائة عام أن يرفع إلى السماء حبيبه الذى اصطفاه على الأنام. قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ [الإسراء: 1]، وقال ﷺ: **«أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت البيت المقدس إلى أن قال ثم عرج بنا إلى السماء»** الحديث رواه مسلم.

الرد على من أنكر الإسراء والمعراج:

إنما أنكر إسراءه الملحدون لشبه واهية من قلة إيمانهم وضعف عقولهم؛ **منها أنهم قالوا:** إن الجسم ثقيل لا يعقل أن يقطع هذه المسافة بالسرعة المتناهية إلى هذا الحد. أماعلموا أن الإسراء لم يكن مشيًا على الأقدام، ولم يكن على دابة من دواب الدنيا بل على البراق الذى هو من دواب الآخرة، ويضع حافره عند منتهى بصره القوى ولا تعوقه جبال ولا بحار فيقطع المسافات البعيدة دون لمح البصر. **ومنها أنهم قالوا:** إن الأجسام الكثيفة لا يعقل أن ترتفع إلى السماء بدون آلة لجذب الأرض إياها، وأيضًا فإن بين السماء والأرض طباقا لا تلائم الحياة، فلو وصل إليها أى إنسان لاختنق أو احترق. أما علموا أن الأنبياء وإن كانت أجسامهم بشرية إلا أن أرواحهم ملكية فتتغلب أرواحهم على أشباحهم فيصعدون كما تصعد الملائكة ولا تمنعهم هذه الطباق، وقد رفع (إدريس) (وعيسى) عليهما السلام، على أن

المخترعات الحديثة تقرب أمر الإسراء والمعراج كالطائرات بأنواعها، والمذياع الذى ينقل الأصوات من أقصى الجهات إلى أقصاها فى أيسر زمن.

والمعتمد أن الإسراء والمعراج كان بجسمه الشريف بدليل أنها لو كانت رؤيا لما تعجبت منها قريش ولا استحالتها، ولما قال الكفار: يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس، فرجع إلى مكة فى ليلته والعير تطرد إليها شهراً مقبلة وشهراً مدبرة، وذلك لأن النائم يرى أنه فى السماء وفى المشرق والمغرب، ولا يستبعد أحد منه ذلك. أ. هـ شرح روضات الخطيب للمؤلف.

قال السيوطى: وقيل: كان الإسراء والمعراج بروحه لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:60]، ولما روى ابن إسحاق فى السيرة أن معاوية كان يقول إذا سئل عن الإسراء: كانت رؤيا من الله عز وجل صادقة، وأن عائشة قالت: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ وإنما أسرى بروحه. وأجيب عن الآية بأن قوله تعالى: ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ يؤيد أنها رؤيا عين إذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذّب به أحد وقد صح أن ابن عباس كان يقول: هى رؤيا عين أُريَها، وعن قول عائشة بأنها لم تكن حينئذ زوجة إذ الإسراء قبل الهجرة وإنما بنى بها بعدها، وقيل: كان الإسراء يقظة والمعراج مناما، وقيل: كان مرتين مرة يقظة ومرة مناما. وروى كعب أن المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب، وروى ابن سعد أنه مرصع باللؤلؤ. وقلت فى الإسراء والمعراج فى عيد الأعياد. فى مدح النبى الهاد ﷺ.

سبحان من أسرى به من مكة	ليلاً إلى الأقصى الحرام العاد
فوق البراق وكان من خدامه	جبريلُ خيرُ ملائك الجواد
ورأى العجائب فى الطريق كثيرة	تسمو على الأوصاف والتعداد
وهناك أمَّ الأنبياء إمامُهم	أعظم بمن يتلو ونعم الباد
لا بدع أن جُمعوا وأن صلوا فهم	أحياء رغم معاند ومعاد
يا منكرا إسراءه مستبعداً	بُعداً لمبعد غيرِ ذى استبعاد

والله لـو عـاشـرت من أرواحـهم	غلبت لقلت : الأمر أمر عـاد
يا أيهـا المسـرى به فـوق العـلا	أنـت المعـد لمثل ذاك الواد
إن كـان هذا الأفق مظهر شـمسـه	فـالعرش مطلعـه عليـه باد[1]
تبـا لمنكـر أن أعـظـم خـلقـه	أسرى وجاب السبع بالمصعاد
ورأى إلـه الخـلـق جـل جـلاله	والعـين ما زاغت صحيح فؤاد
لـو يـعلمون الروح ما أسـرارها ؟	ما حـكمها فى عالم الأجساد ؟
علموابأن الجـسم يشبـه ريشـة	والـروح ريحا جمعا فى واد
الـروح جبريل لخدمة من شـأى	كل الورى روحًا على استعداد
والله يطلبـه فـإن غلبـا فـهل	مـولاك يغلبـه نفـاذُ مـراد ؟

وقد أطنبت فى ذكر هذه القصة فى كتاب القصص فراجعه .



(1) هذان البيتان رأيتهما فى النوم وأنا أنظم فى هذه القصيدة فألحقتهما بها .

الـــروح

والروح باق والممات بالأجل	ولا يزيل الدين عن عبـد زلل

الروح وأحكامها:

ونعتقد أن الروح باقية بعد موت البدن منعمة أو معذبة لا تفنى، والروح شيء موجود الله أعلم بحقيقته. أ. هـ. قال الشيخ طاهر الجزائرى: والروح نحكم بوجودها وإن لم نحظ بشهودها حيث نرى ما لها من الاثار مع أنا لا نراها بالأبصار، ولا ندرك حقيقتها لقصر العقل عن إدراكها، وإذا كان لم يدرك حقيقة روحه مع أنها مخلوقة وغير خارجة عنه، فكيف يدرك حقيقة خالقه الذى ليس له شبيه أ. هـ. بتصرف. وقال الإمام العينى فى شرح البخارى وعند التكلم على الروح جـ2 ص601 :-

الروح:

هى جوهر لطيف نورانى يكدره الغذاء والأشياء الرديئة الدنيئة مدرك للجزئيات والكليات حاصل فى البدن متصرف فيه غنى عن الاغتذاء برىء عن التحلل والنماء، ولهذا يبقى بعد فناء البدن إذ ليست له حاجة إلى البدن، ومثل هذا الجوهر لا يكون من عالم العنصر بل من عالم الملكوت فمن شأنه أنه لا يضره خلل البدن ويلتذ بما يلائمه ويتألم بما لا يلائمه ويتألم بما ينافيه، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران:169] الآية، وقوله ﷺ: «إذا وضع الميت على نعشه رفرف روحه ويقول: يا أهلى ويا ولدى». فإن قلت: كيف يفسر الروح وقد قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:85]. قلت: معناه من الإبداعات الكائنة بكن من غير مادة أوتولد من أصل.

وفى فيض البارى (جـ3ص425) عند الكلام فى حياة الشهداء: واعلم أن الحديث أسند الأكل والشرب إلى النسمة دون الجسد فإنه فى التراب فدل على أن

النسمة غير الجسد وكذلك غير الروح لأن الروح لا يسند إليها الأكل والشرب ما لم تتصل بجسد مادى . أ . هـ.

مقر الروح بعد الموت:

وقال الإمام ابن القيم ما ملخصه : الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت ؛ فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى ، وهى أرواح الأنبياء وهم متفاوتون فيما بينهم ، ومنها أرواح فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء ، وبعضهم تحبس روحه عن الجنة بأن كان عليه دين . ومنهم من يحبس على باب الجنة ومنهم من يحبس فى قبره كالشهيد الذى غل الشملة قبل أن يستشهد فقال الناس : هنيئًا له الجنة فقال النبى ﷺ : **«والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلها لتشتعل عليه نارا فى قبره»** ومنهم من يكون مقره بباب الجنة - قال ابن عباس : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا ، ومنهم من يكون محبوسًا فى الأرض لأنها روح سفلية أرضية لم تكسب فى الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه فتكون مع أشكالها . كما أن النفس العلوية الآنسة بطاعة الله وذكره والتقرب إليه تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية وشبيه الشيء منجذب إليه ، والمرء مع من أحب فى البرزخ ويوم القيامة .

ومنها أرواح تكون فى تنور الزناه والزوانى ، وأرواح فى نهر الدم تسبح وتلقم الحجارة .

بعض صفات الروح:

ثم قال : وإن لها شأنًا غير شأن البدن وإنها مع كونها فى الجنة فهى فى السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه . وهى أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعودًا وهبوطًا وإنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهناك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة ، وهناك اللذة والراحة والإطلاق وما أشبه حالها فى هذا البدن بحال ولد فى بطن أمه ، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى

هذه الدار . والحاصل أن أدوار النفس أربعة كل دار أعظم من التى قبلها . (الدار الأولى) فى بطن الأم حيث الحبس والغم والظلمات الثلاث (والدار الثانية) دار الدنيا التى اكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة (والدار الثالثة) دار البرزخ وهى أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليه كنسبة هذه الدار إلى الأولى (والدار الرابعة) دار القرار الجنة أو النار وهى الدار التى خلقت لها وهيئت للعمل الموصل إليها . ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى . فتبارك الله مميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها -لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير . أ . هـ.

علم الموتى بالدنيا وأهلها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : استفاضت الآثار بمعرفة الميت أهله، وبأحوال أهله وأصحابه فى الدنيا، وأن ذلك يعرض عليه . وجاءت الآثار بأنه يرى أيضًا وبأنه يدرى بما يفعل عنده، فيسر بما كان حسنًا، ويتألم بما كان قبيحًا . وتجتمع أرواح الموتى فينزل الأعلى إلى الأدنى لا العكس . وقال أبو سعيد الخادمى فى شرح الطريقة المحمدية : إن الأموات يعرفون الزوار ويسمعون نداءهم، ويردون سلامهم- قيل هذا مختص بيوم الجمعة وبيوم قبله وبيوم بعده سواء كان الزائر واقفًا على القبر أو قريبًا منه أو بعيداً منه بطرف الجبانه، ويتزاورون ولو مع تباعد الأمكنة . لكن المعذبين منهم مشغولون محبوسون ثم هم يأنسون بزوارهم، ويفرحون بزيارتهم بلا توقيت فى ذلك، ثم هم يعتبون على من لم يزرهم، وأرواحهم تأتى منازل الأحياء، ويعرفون أعمالهم، ويتألمون من إساءتهم ويستبشرون بحسناتهم تارة بعرض ذلك عليهم وأخرى بالاستخبار ممن مات بعدهم، وقد ورد عرض الأعمال يوم الأثنين والخميس على الأنبياء والآباء والأمهات فيفرحون بالحسنات ويحزنون بالسيئات، وهم يتألمون إذا شكا الحى من أحد ظلمًا وأذية .

وكان أبو الدرداء يقول : «اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملاً تحزن به أمواتى»، وروى الحكيم الترمذى مرفوعًا : «إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» وروى مرفوعًا : «تعرض الأعمال يوم الأثنين والخميس على الله تبارك وتعالى، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد

وجوههم بياضا وإشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا أمواتكم»، وروى أن الأموات يسألون القادم عليهم عن أهل البيت كلهم ما فعل فلان ما فعلت فلانة، هل تزوج فلان أو تزوجت فلانة ونحو ذلك. أ. هـ. «السر الأكبر فى العيد الأصغر. للشيخ محمد محمد جابر».

هل للأروح أثر فى الأحياء:

قال سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد (2-22): الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية، واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف فى الدنيا، ولهذا ينتفع بزيارة القبور، والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات فى استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقًا ما بالبدن وبالتربة التى دُفن فيها. فإذا زار الحى تلك التربة وتوجهت تلقاءه نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات. أ. هـ.

وقال الإمام الدوّانى فى كتاب حقيقة الإنسان: **ثم اعلم أن الأموات يعلمون** بزوارهم، ويسمعون كلامهم ويتأذون بمن يجلس على قبورهم بأجسامهم اللطيفة وإن كانت ثمة مسافة. وقد أخرج ابن أبى الدنيا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم»**.

وأما الذين لا تأكل الأرض أجسادهم فلهم أحوال وأسرار تحير العقول، ولا يجوز كشفها وإفشاؤها. قال الشيخ زاهد الكوثرى: بل إن أرواح هؤلاء الكمل كالسيوف المغمدة ما دامت فى أجسادها وعند انسلاخها من الأجساد تصبح كالسيوف المجردة فى قوة المضاء كما هو مشروح فى موضعه. أ هـ.

وقال ابن القيم فى كتاب الروح: للروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة، وسرعة الصعود إلى الله والتعلق بالله ـ ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن وعوائقه. وقد تواترت الرؤيا من أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل. أ. هـ.

وقال الإمام الرازى فى تفسيره : إن الأرواح البشرية الخالية من العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوى بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس، وتظهر منها آثار فى أحوال هذا العالم.

وقال أيضًا فى المطالب العالية : إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوى النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقًا بتلك التربة ؛ فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحى، ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل فى نفس هذا الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله، والرضا بقضاء الله ينعكس منه فورًا إلى روح ذلك الميت، وكل ما حصل فى نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحىّ.

وبهذا الطريق تكون الزيارة سببًا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور، وهذا هو السبب الأصلى فى شرعية الزيارة.

وأشرت بقول : (والممات بالأجل) - إلى أن الواجب أن نعتقد أن الموت بالأجل، وهو الوقت الذى كتب الله فى الأزل انتهاء حياته فيه فلا يموت أحد بدونه مقتولاً كان أو غيره.

وأشرت بقولى:(ولا يزيل الدين عن عبد زلل) إلى أن الواجب أن نعتقد أن الفسق لا يزيل الإيمان سواء أكان الذنب صغيرة أم كبيرة عالمًا كان مرتكبه أو جاهلاً بشرط أن لا يكون ذلك الذنب من المكفرات كإنكار علمه تعالى بالجزئيات وإلا كفر مرتكبه قطعًا كما فى البيت ويشرط أن لا يكون مستحلاً له وهو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا وإلا كفر باستحلاله ذلك.

وخالفت فى ذلك الخوارج فكفّروا مرتكب الذنوب وجعلوا جميع الذنوب كبائر، ولمْ يكفُروا بتكفير مرتكب الذنوب مع أن من كفّر مؤمنًا كفر لأنهم قالوا ذلك بتأويل واجتهاد.

وأما المعتزلة: فأخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان ولم يدخلوه فى الكفر إلا باستحلال فجعلوه منزلة بين المنزلتين ؛ فمرتكب الكبيرة مخلد عند الفريقين فى النار ويعذب عند الخوارج عذاب الكفار، وعند المعتزلة عذاب الفساق. ولا تزيل الدين أيضًا البدعة كإنكار خلق الله أفعال العباد وإنكار جواز رؤيته فى الآخرة لأنه مبنى على التأويل إلا التجسيم وإنكار علم الله الجزئيات وهو ما أشرت إليه بقولى :

إن لم يكن مجسما أو منكرا	علم العليم كل أجزاء الورى

فالمجسم من يعتقد أن الله تعالى جسم -تعالى عن ذلك علوًا كبيرا. والله تعالى يعلم الأشياء أزلاً إجمالا وتفصيلا ، ويعلم الكليات والجزئيات. وكَفَّرَت الفلاسفة حيث أنكروا علمه تعالى بالجزئيات.

الجنة

والجنة الفيحاء فى سماه	أعدها لكل من يخشاه

والجنة: ونعتقد أن الجنة مخلوقة اليوم قبل يوم الجزاء لقوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، وقصة آدم وحواء فى إسكانهما الجنة، وإخراجهما منها، وأحاديث الإسراء وفيها «**أدخلت الجنة**». وأنها فى السماء لقوله تعالى : فى قصة آدم : ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ [البقرة: 38]. وفى الصحيح حديث : « **سلوا الله الفردوس فإنه أعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة** » وفى صحيح مسلم : «**أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش**».

من صفة الجنة:

عن كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ : «**هل مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هى وربِّ الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتزّ، وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة فى محلة عاليه بهية**»، قالوا : نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها. قال : «**قولوا إن شاء الله**» فقال القوم : إن شاء الله. رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والبَزار وابن حبان فى صحيحه والبيهقى. أهـ. إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام للمؤلف.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها أو آخر أهل الجنة دخولا للجنة؛ رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يارب: وجدتها ملأى، فيقول الله عز وجل: إذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى،فيقول الله عز وجل: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو بأن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول: أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك» قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه [1] فكان يقول: « ذلك أدنى أهل الجنة منزلة».

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، ولا يرى بعضهم بعضا» رواهما البخاري ومسلم.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا». رواه مسلم. كلها من إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام للمؤلف.

النار

وأوقد النار لمن قد أجرموا	وغيره مكانها لا يعلم

ونعتقد أن النار موجودة الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 131]. وفي أحاديث الإسراء: «ورأيت النار»، ولا يعلم مكان النار إلا الله تعالى. وقيل إنها في الأرض، قال عبد الله بن سلام: النار في الأرض.

صفة النار

عن عمر بن الخطاب قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه. فقام إليه رسول الله ﷺ فقال: «يا جبريل مالي أراك متغير اللون. فقال: ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار» فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل صف لي النار، وانعت لي جهنم» فقال جبريل: «إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام

(1) نواجذه: أضراسه.

حتى ابيضت ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لَهَبُها ، والذى بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعا من حره ، والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من فى الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه ، والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضَّت [1] وما تقارَّت حتى تنتهى إلى الأرض السفلى» فقال رسول الله ﷺ : «حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبى فأموت» . قال : فنظر رسول الله إلى جبريل وهو يبكى فقال : «تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به ؟» فقال : «ومالى لا أبكى أنا أحق بالبكاء لعلى أبتلى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة ، وما أدرى لعلى أبتلى بمثل ما ابتلى به هاروت وماروت» قال : فبكى رسول الله ﷺ ، وبكى جبريل عليه السلام ، فمازالا يبكيان حتى نوديا أن يا جبريل ويا محمد : إن الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل عليه السلام ، وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال : «أتضحكون ووراءكم جهنم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصُّعدات [2] تجأرون [3] إلى الله عز وجل» فنودى : «يا محمد : لا تقنط عبادى ، إنما بعثتك ميسرا ولم أبعثك معسرًا» فقال رسول الله ﷺ : «سددوا [4] وقاربوا» .

خُطب الرسول ﷺ للمؤلف عن الطبرانى فى الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه .



(1) إرفضت : تحطمت .

(2) الصعدات : الطرق .

(3) وتجأرون : تستغيثون .

(4) وسددوا : اطلبوا السداد : الاستقامة .

خاتم النبيين ﷺ وفضله

وخاتم الرسل الكرام أحمد	وفضله عن غيره لا يجحد

ونعتقد أن خاتم الرسل الكرام حبيب ذى الجلال والإكرام سيدنا أحمد، ومحمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: 40]، وفى بعض أحاديث الإسراء **«وجعلتك أول النبيين خلقا، وآخرهم بعثا»**. رواه البزار وتواتر من حديثه ﷺ أنه النبى الأخير لا نبى بعده وإذا ثبت أنه لا نبى بعده ثبت أنه لا رسول بعده فإن الرسول إما مساو للنبى مستلزم له، ونفى أحد المتساويين يستلزم نفى الآخر، أو أخص ونفى الأعم يستلزم نفى الأخص لا محالة. وأخرج الترمذى والإمام أحمد عنه ﷺ قال: **«إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى»**.

قال إمام العصر الشيخ سلامة العزامى: ومن رحمة الله العظمى على هذه الأمة نص الله تعالى فى كتابه على أنه ﷺ خاتم النبين، وتواتر ذلك المعنى فى سنته ﷺ لتعلم الأمة أن كل من أدعى رسالة أو نبوة بعده سواء افترى شرعًا جديدًا أو ادعى أنه يؤيد الشريعة المحمدية فهو كذاب أفاك ضالٌ مضل وإن ظهر على يديه ما يعتبره الجاهلون معجزات ويعتقده العالمون أكاذيب واحتيالات كمسيح قاديان وبهاء الكافرين (دفين عكا) فإنهما من أول الداخلين فى قوله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله فإياكم وإياهم لا يفتنونكم ولا يضلونكم وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى»**. أخرجه الشيخان وغيرهما أ. هـ. باختصار.

السر فى أنه ﷺ خاتم النبيين:

وإنما كان ﷺ خاتم النبيين لأن شريعته مشتملة على ما يهذب ويطهر الروح مبيحة لذائذ الحياة وطيباتها فى حدود التوسط والاعتدال، وافية بمصالح الناس جميعًا على اختلاف أحوالهم وعاداتهم فى كل زمان وأى مكان. فلما أراد الله أن يختم النبوات، ويجمع العالم على دين واحد[1] أدّب محمدًا ﷺ فأحسن تأديبه

(1) يقول العارفون وفي مقدمتهم علماء الأفرنج الباحثون في الأديان: إن الإسلام ينتشر بين الناس بكيفية تستوقف النظر. قال إسحق طيار (قسيس إنجليزي منصف) إن الإسلام ينتشر الآن في أفريقية بسرعة لا يأتي عليها الوصف، وإننا لنري الإسلام أوفق ما يكون لتهذيب الأمم المتوحشة وترقيتها، وقد نفع المدنية أكثر مما نفعتها المسيحية أ. هـ وأنه لا ينتشر بين القبائل المتوحشة فقط بل هو ينتشر أيضًا بين الأمم الراقية فقد أسلم كثير من الانجليز وغيرهم، ومن ثم قال بعض الباحثين: إن المستقبل للإسلام. وقال بعضهم: إن الإسلام هو الدين الذي جاء لجمع الناس كلهم علي مبدأ واحد فهم يسعون إليه وهم لا يعلمون. أ. هـ.

وجمله بأكمل الصفات وأرسله إلى الناس كافة وجعل شريعته كافلة كل ما ينفعهم فى الدنيا، ويضمن لهم النعيم الدائم فى الآخرة.

ذلك أن هداية الناس وإصلاحهم إصلاحًا تامًا إنما يكونان بتوجيه قلوبهم إلى الله تعالى وتطهير عقائدهم من أدران الشرك وأوهام الوثنية، ورفع منزلتهم عن أن يعبدوا غيره جل وعلا كائنًا من كان من خلقه، ويكونان بإطلاق أفكارهم فى التأمل فى ملكوت السموات والأرض ليستدلوا ببديع الصنع ووحدة النظام على وحدة الصانع وعظمته وليصلوا بجدهم إلى أقصى حد فى الانتفاع بما سخر لهم مما خلق الله تعالى ويكون بحثِّهم على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وتنفيرهم عن مساويها، وبأن تباح لهم طيبات الحياة، وتحرم عليهم خبائثها مما يضر بالنفس أو بالعرض أو المال، وبأن تشرع لهم عبادات تهذب طباعهم وتزكى أرواحهم وأن تسن أحكام عامة تكفل لهم الأمن والطمأنينة.

وكل هذا قد جاءت به الشريعة المطهرة، وتضمَّن أصوله القرآن والسنة النبوية، فشريعة سيدنا محمد ﷺ أتم الشرائع وأوفاها بحاجة الإنسان فى معاشه ومعاده ولذا كانت آخر الشرائع - وسنة الترقى تنتهى بالكمال- وكانت ناسخة لكل شريعة قبلها وكان صاحبها خاتم النبيين وآخر المرسلين: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40]. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: 28].

فضله ﷺ عن غيره

ونعتقد أن نبينا ﷺ أفضل الرسل. ومن جعل الله أمته خير الأمم، وجعله يتقدم بالشفاعة حين يحجم عنها كبار الرسل لا يرتاب عاقل فى زيادة فضله عليهم. قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» رواه مسلم، وقال ابن عباس: إن الله فضل محمداً على أهل السماء والأنبياء، رواه البيهقى. وقد ميزه بخصائص أفردها العلماء

بالتأليف. قال ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا فأيُّما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة». وقال ﷺ: «أنا أول الأنبياء خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا. لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر» رواه السيوطى فى الجامع الصغير. وأما حديث الصحيحين: «لا تخيرونى على موسى، ولا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» فمحمول على التواضع أو على أنه قبل أن يعلم أنه أفضل الخلق.

وجـده الخليل إبرهيم	والروح عـيـسى نوح والكليم

وجده الخليل إبراهيم. أفضل الخلق بعده ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، نقل بعضهم الإجماع على ذلك، وفى الصحيح خير البرية إبراهيم خص منه النبى ﷺ فبقى على عمومه. وقال ﷺ: «إن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله». رواه الترمذى

والروح عيسى نوح والكليم. قال الجلال السيوطى: الثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء ولم أقف على نقل أيهم أفضل. أهـ. وأقول: قال السعد وشارحه فى تهذيب الكلام: واختلفوا فى الأفضل بعده. فقيل: آدم عليه السلام لكونه أبا البشر، وقيل: إبراهيم عليه السلام لزيادة توكله واطمئنانه، وقيل: موسى عليه السلام لكونه كليم الله، وقيل: عيسى عليه السلام لكونه روح الله تعالى، وقيل: نوح عليه السلام لطول عبادته ومجاهدته.

وهؤلاء الخمس أولوا العزم. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:7]، والعزم: الجد والاجتهاد.

فـالأنبـيـاء فـالملائك الألى	أجلهم جـبـريل عند ذى العـلا

فالأنبياء نعتقد أنهم أفضل من غيرهم على تفاوت درجاتهم بما خُص به كل منهم. قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:253]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:55].

وقال الشيخ إمام العصر سلامة العزامى: والأنبياء أفضل خلق الله ـ ملائكة كانوا

أو أولياء من البشر - والنبى الواحد أفضل من جميعهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فائدة: لا يُعلم عدد الأنبياء على اليقين . وفى بعض الآثار : أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وقيل وخمسة عشر . يجب الإيمان بهم إجمالاً ، وتفصيلاً فيما علم تفصيلا . والمذكورون فى القرآن هم خمسة وعشرون : آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، ذو الكفل ، داود ، سليمان ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد ﷺ ، وهم رسل أيضًا .

فالملائك الأُلى: أجلهم جبريل عند ذى العلا . ونعتقد أن الملائكة يلون الأنبياء فى الفضل . والملائكة أجسام لطيفة مخلوقة من نور ، لا يأكلون ولا يشربون وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وقد جعلهم الله رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، وهم كثير جداً ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: 31]. وفى الحديث : «**أطت السماء وحق لها أن تئط .ما فيها موضع أربعة أصابع إلا ولله عز وجل فيه ملك واضع جبهته ساجداً**» .

أقسام الملائكة:

منهم رسل بين المولى سبحانه ورسله كجبريل عليه السلام ومنهم حفظة على العباد ، ومنهم من يكتب أعمال العباد من خير أو شر ، ومنهم موكلون بالجنة ونعيمها ، ومنهم موكلون بالنار وعذابها ، ومنهم حملة العرش وهم الآن أربعة ، ويوم القيامة ثمانية ومنهم الكروبيون بفتح الكاف أى المقربون ، وهم ملائكة حافون بالعرش طائفون به . قال البجورى : لقبوا بذلك لأنهم متصدون للدعاء برفع الكرب عن الأمة . وأقول : لقبوا به لقربهم من ربهم .

فائدة:

ولا يرى البشرُ (غير الأنبياء) الملائكة إذا كانوا على صورهم الأصلية لأنهم أجسام لطيفة كما أنهم لا يرون الهواء مع كونه جسمًا مالئا للفضاء لكونه لطيفا .

وأما إن تصوروا بصورة جسم كثيف كالإنسان فإنهم يرونهم، ورؤية الأنبياء لهم على صورهم الأصلية خصوصية خصوا بها لتلقى المسائل الدينية والأحكام الشرعية ولا يستغرب وجود أجسام بيننا لا نراها بالعين، فإن أمامنا كثير من الأجسام الحية وغير الحية لا يدركها البصر ولولا النظارة لظننا أنها ليس لها عين ولا أثر. ودلت النصوص على أنهم قادرون على الأعمال الشاقة العظيمة التى يعجز عنها ألوف البشر بل جميع البشر. ولكل منهم صورة تخصه. ولكن الله أعطاهم قوة الظهور فى أى صورة شاءوا. قال الله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:17]- تمثل جبريل لمريم بشراً. وفى صحيح البخارى: «وأحياناًيتمثل لى الملك رجلا فأعى ما يقول».

وبالجملة فهم نوع ممتاز بخصائص كريمة عظيمة. وهم ذوات نورانية. ومن زعم أنهم قوى كالحرارة والكهرباء من القوى المادية فما آمن بالقرآن، ولا بما اتفقت عليه الأنبياء -فاحذر على دينك من هذا الهراء. فإن قيل: كيف عصمتهم مع كفر إبليس وهو منهم قيل: إن المعتمد أن إبليس من الجن، وذكر معهم لعشرته الطويلة لهم. فإن قيل: وما تقول فى هاروت وماروت وتعليمهما الناس السحر؟أقل: إنهما مأموران بذلك فلا غبار عليهما لأن العهد الذى أمرا فيه بهذا نبغ الناس فى السحر وادعى كثير منهم النبوة وجعل معجزتها غرائب سحره فعلماه الناس حتى يدركوا حيل السحرة وألاعيب الخسرة فلا يفتنوا بالكفرة الفجرة، مع أنهما كانا يقولان إنما نحن فتنة، فلا تستعمله فيما تستحق به اللعنة.

وأفضل الملائكة جبريل لحديث رواه الطبرانى.



العشرة المبشرون بالجنة

صديق طه عمر، عثمان	أبو الحسين ،الستة الأعيان

صديق طه ونعتقد أن أفضل البشر بعد الأنبياء أبو بكر الصديق فعمر بن الخطاب، بعده عثمان بن عفان فعلى بن أبى طالب بعده. قال ابن عمر: كنا نخير الناس فى زمان النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان. رواه البخارى، وزاد الطبرانى: فيعلم بذلك النبى ﷺ ولا ينكره. وروى الترمذى عن أنس وحسنه: قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر: هذان سيدا كهول الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.

سعدٌ ،سعيدٌ وابن عوف طلحة	وعامر، الزبير نعم الستة

فالستة الأعيان: أى فالستة الكبار وهم بقية العشرة المبشرين بالجنة فى حديث واحد، وهم طلحة والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح. نقل الإجماع على ذلك أبو المنصور التميمى. روى أصحاب السنن وصححه الترمذى عن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: **«عشرة فى الجنة؛ أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة، وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد»** أ. هـ. **ولا نفضل بعضهم على بعض لعدم النص.**

فأهل بدر، أحد فالشجره	فكلهم فالأمة المبشره

فأهل بدر أفضل وعدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر، وفى الصحيح: **«لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**. وروى ابن ماجه عن رافع بن خديج قال: جاء جبريل أو ملك إلى النبى ﷺ فقال: **«ما تعدون من شهد بدرا فيكم؟ قالوا: خيارنا قال: كذلك هم عندنا خيار الملائكة»**.

فأهل أحد الذين شهدوا وقعتها يلون أهل بدر فى الفضيلة سواء استشهدوا بها كالسبعين أم لا. وكان أهلها ألفا منهم ثلاثمائة من المنافقين الذين رجع بهم عبد الله بن أبى بن سلول وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل، واصطف المسلمون بأصل أحد

والمشركون بالسبخة، وجعل النبي ﷺ عبد الله بن جبير أميراً على الرماة بالنبل وهم خمسون. وقال: «احموا ظهورنا واثبتوا مكانكم» فلما التحم الحرب شرع المسلمون في أخذ الغنائم فقال الرماة: غلب أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال أميرهم: أنسيتم قول رسول الله ﷺ؟ فقالوا: والله لنأتين الناس ونصيب من الغنيمة، وحملوا كلامه على أن المراد مادام الحرب قائماً فلما أتوهم رجع الكفار فقتلوا من المسلمين سبعين منهم سيد الشهداء حمزة، قتله وحشي، وشُجَّ وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته ودخل حلقتان من المغفر في وجنته ﷺ فأخرجهما أبو عبيدة بأسنانه فسقطت ثنيتاه فكان أحسن الناس هتما.

فالشجرة: أي من بايعوا بيعة الرضوان تحتها لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:18]، وكانوا ألفًا وأربعمائة. وقيل وخمسمائة خرج بهم النبي ﷺ عام ست من الهجرة لزيارة البيت الحرام والاعتمار به، ولم يكن معهم سلاح إلا السيوف فنزلوا بأقصى الحديبية (مكان معروف) فصده المشركون عن دخول مكة فأرسل إليهم عثمان يعلمهم أنه جاء معتمراً لا مقاتلاً فأشيع أنهم قتلوه فقال النبي ﷺ عند ذلك: «**لا نبرح حتى نناجزهم الحرب**» ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت أو أن لا يفروا فبايعوه على ذلك، ووضع ﷺ شماله في يمينه وقال: «**هذه عن يد عثمان**» (أي على فرض حياته) ثم تبينت حياة عثمان فصالحهم ﷺ على شروط وهي أن يوضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وأن يؤمن بعضهم بعضًا، وأن يرجع في هذا العام ويأتي للعمرة في العام القابل، وأن من جاء ممن تبعه لا يردونه، ومن جاء من قريش مؤمنًا يرده، وكره المسلمون ذلك فقالوا: يا رسول الله إنا نرد ولا يردون. قال: «**نعم من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم فسيجعل الله له مخرجا**» حتى أسلم أبو جندل وجماعة وانحازوا بجبل يقطعون الطريق على قريش فأرسلوا له ﷺ بإسقاط الشرط وأن يأخذهم عنده.

وتحللوا بالحلق والذبح ورجعوا إلى المدينة وقال ﷺ : «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة». رواه أبو داود والترمذى وصححه.

(فكلهم): باقى الصحابة أفضل من غيرهم. قال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» أى نصفه رواه مسلم. وقال ﷺ: «**إن الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من أصحابى أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليّ فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير، واختار أمتى على الأمم واختار من أمتى أربعة قرون الأول والثانى والثالث والرابع**». أخرجه البزار فى مسنده.

فالأمة المبشرة: أى باقى الأمة أفضل من سائر الأمم. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110]. ولقوله ﷺ آنفا: «**واختار أمتى على الأمم**» وقال ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**». رواه أصحاب السنن.



الالتزام بترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل

ومن على الشيخين أو عثمانا	أعلى عليا خالف البرهانا

تقدم أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر. ومذهب الجمهور أن عثمان أفضل من عليّ رضى الله عنهم وتقدم حديث البخارى فى ذلك.

وقد تطرف بعض الناس قديمًا وحديثًا ففضلوا علياً على أبى بكر وعمر؛ محتجين بأنه كان أكثر الصحابة جهادًا والجهاد أفضل الأعمال، وأكثرهم زهدا، وأسبقهم إسلامًا، ولم يعبد قط صنما، وأنه أسوسهم. ولا تسلم لهؤلاء حجتهم؛ أما أنه أكثرهم جهادًا فخطأ لأن الجهاد إما باللسان وإما بالرأى، وإما بالسِّنان، وجهاد اللسان المبرز فيه بعد رسول الله ﷺ أبو بكر إذ أسلم أكابر الصحابة على يده بدعوته ويليه عمر إذ عز الإسلام بإيمانه وعبدَ الله جهرا، ولا حظ للإمام فى هذا أصلا. وأما جهاد الرأى والمشورة فخالص لأبى بكر ثم لعمر رضى الله عنهما.

وأما جهاد السِّنان فهو أقل المراتب بدليل أن النبى ﷺ لم يَعْنَ به مع أنه أشجع خلق الله وكان أكثر جهاده باللسان والرأى. ولم يعدل عنه إليهما إلا لمزيد فضلهما لأنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل. وللإمام على فى جهاد المشركين ذلك الجهاد حظ وافر، ولكنه شاركه فيه السادة طلحة والزبير وحمزة وغيرهم من السابقين، ولأبى بكر وعمر حظهما، وإن لم يصلا لدرجة هؤلاء.

وأما أنه أزهدهم فباطل لأن الزهد إطراح الشهوات، وقد أنفق أبو بكر كل ماله فى سبيل الله إلا عباءة خللها بعود يفترشها إذا نزل ويلبسها إذا ركب وولىَ الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع فى مال، وتلاه فى هذا عمر. وأما الإمام علىّ فتوسع فى هذا الباب من حله إذ مات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد سوى الخدم والعبيد وأربعة وعشرين ولدًا من ذكر وأنثى لهم من العقار والضياع ما كانوا به من مياسير قومهم.

وأما سبقه فى الإسلام فأسلم ابن عشر أو خمس غير مكلف، وأبو بكر أسلم ابن ثمان وثلاثين فسابقته أعظم من سابقة الإمام، وأما أنه لم يعبد صنمًا قط فنحن ومن ولد فى الإسلام لم نعبد الأصنام قط ولا يقول عاقل أنا أفضل من حمزة وعمار وطلحة وقد عبدوا الأصنام - فلا يثبت للإمام به مزيد فضل.

وأما أنه أسوسهم فوازن بين ما كان للإسلام من خير فى زمنه وزمن سالفيه وما تم على يديهما ويده تدرك الفرق بينهم فى السياسة وهو كما ترى جد بعيد، والله المسئول أن يأخذ بنا إلى نهجهم ويحشرنا معهم وما ذلك عليه بعزيز. أهـ. بتصرف كثير.



لا ينبغى الخوض فى الصحابة

ولا تخض فيما جرى من حرب	بينهمو واحذر سهام الرب(1)
فكلهم مجتهد عدول	والله قد زكاه والرسول (2)

(1) لا ينبغى للمسلم أن يخوض فيما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم من حروب ومنازعات. قال ﷺ: «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا» لأن ذكرهم بالقبيح إما كُفر كأن قال إنهم على ضلالة-وكَفر لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، وإما معصية إن ذكرهم بما يوجب الحد فيحد وينكل بعد ذلك النكال الشديد، وإن ذكرهم بقبح لا يوجب الحد يجلد ويخلد فى السجن إلى أن يموت ،وأما ذكرهم بالمكروه فمكروه وبخلاف الأولى فخلاف الأولى. أ هـ. الشيخ عليش على إضاءة الدجنة.

(2) والصحابة مجتهدون عدول زكاهم الله سبحانه وتعالى ونبيه ﷺ. قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح:29]. وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:143]، أي عدولا. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحريم:8]، وقد أحبهم النبى ﷺ وأثنى عليهم وأوصى أمته بعدم سبهم وبغضهم وأذاهم، وما ورد من المطاعن فعلى تقدير صحته له محامل وتأويلات ومع ذلك لا يعادل ما ورد فى مناقبهم. قال السعد التفتازانى: والذى أتفق عليه أهل الحق أن المصيب فى جميع ذلك علىّ رضى الله عنهم. والتحقيق أنهم كلهم عدول متأولون فى تلك الحروب وغيرها من المخاصمات والمنازعات لم يخرج شىء فيها أحدًا منهم عن عدالته إذ هم مجتهدون اختلفوا فى مسائل ظنية من محل الإجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل ظنية من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

أفضل القــرون

وقرنه المختار والميمون	وبعده ثلاثة قرون

في الحديث السابق «واختار من أمتي أربعة قرون الأول والثاني والثالث والرابع» وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**». قال عمران ﷺ فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة «**ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**» زاد في رواية «**ويحلفون ولا يستحلفون**» وفي رواية للشيخين عن ابن مسعود: «**تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**».

خيــر النســاء

خيـرُ النسـاءِ مـريمٌ فـاطمـةٌ	آسيـةٌ خـديجـةٌ عـائشـةٌ

ونعتقد أن أفضل النساء مريم بنت عمران الصديقة والدة عيسى عليه السلام وفاطمة بنت النبي ﷺ وفاطمة أفضل. روى الترمذي وصححه: «**حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**». وفي الصحيحين من حديث علي: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها -خديجة بنت خويلد**»، وفي الصحيح: «**فاطمة سيدة نساء هذه الأمة**»، وروى النسائي عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «**هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم علي وبشرني أن حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأن أمهما سيدة نساء أهل الجنة**»، وروى الطبراني عن علي مرفوعًا: «**إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد**». وفي هذه الأحاديث دلالة على تفضيلها على مريم خصوصا إذا قلنا بالأصح إنها ليست نبية وقد تقرر أن هذه الأمة أفضل من غيرها. وروى الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند صحيح لكنه مرسل: «**مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها**». ورواه الترمذي موصولا من حديث علي بلفظ: «**خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة**». قال الإمام ابن حجر والمرسل يفسر المتصل.

وأفضل أمهات المؤمنين: أي أزواج النبي ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿وأزواجه

أمهاتهم﴾ أي في الحرمة والتعظيم: خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة. قال ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». (رواه البخاري).



الأئمة الأربعة

وأحمـد محمـد نعمـان	ومـالك أئمـة أركـان

ونعتقد أن الأئمة الأربعة وباقى الأئمة كلهم على هدى من ربهم وبصيرة فى دينه ولا التفات لمن قال فيهم ما هم بريئون منه .

أما الإمام أحمد بن محمد بن حنبل فولد سنة مائة وأربع وستين فى بغداد وكان أبوه والى سرخس فنشأ مكبا على طلب العلم وسافر فى سبيله أسفارًا كثيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف . وصنف المسند ؛ فيه ثلاثون ألف حديث دون المكرر وله كتب فى التاريخ والناسخ والمنسوخ والرد على من أدعى التناقض فى القرآن والتفسير وغيرها ، وكان أسمر اللون حسن الوجه طويل القامة يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء ، وسجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهرًا لامتناعه من القول بخلق القرآن . وأطلق سنة مائتين وعشرين ولما ولى المتوكل أكرم الأمام ابن حنبل وكان لا يولى أحداً إلا بمشورته . وتوفى سنة مائتين وإحدى وأربعين هجرية فى خلافته .

وأما محمد : فهو الإمام الشافعى ، المولود سنة 150 هجرية : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى أبو عبد الله -أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد فى غزة بفلسطين ، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، وزار بغداد مرتين وقصد الديار المصرية سنة 199 هجرية وتوفى فى القاهرة . قال المبرد : كان الشافعى أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات ، وقال الإمام ابن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعى فى رقبته منه ، وكان من أحذق قريش بالرمى يصيب عشرة فى العشرة وبرع فى اللغة والأدب والشعر ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة وله تصانيف كثيرة أشهرها الأم فى سبع مجلدات وتوى سنة 204 هجرية .

نعمان : هو الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . قيل : أصله من أبناء فارس ولد بالكوفة وكان يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء وأريد للقضاء

فرفض ورعًا فحلف عليه المنصور العباسى ليفعلن فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل فحبسه ثم أطلقه وكان قوى الحجة. وقال الإمام مالك يصفه: رأيت رجلاً لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته، وكان كريمًا فى أخلاقه جوادا حسن المنطق والصورة جهورى الصوت إذا حدث انطلق فى القول وكان لكلامه دوى. قال الإمام الشافعى: الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة. وولد سنة ثمانين وتوفى سنة مائة وخمسين.

مالك: هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية -مولده ووفاته فى المدينة، كان صلبًا فى دينه بعيدًا عن الأمراء والملوك. وشى به إلى جعفر عم المنصور العباسى فضربه سياطًا انخلعت لها كتفه ووجه إليه الرشيد العباسى ليأتيه فيحدثه فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار. فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم فجلس بين يديه فحدثه. وله الموطأ من أصح كتب الحديث وغيره، وولادته سنة ثلاث وتسعين ووفاته سنة 179 هجرية.



الإمام الأشعرى والإمام الجنيد

والأشعرى فى العقائد اتبع	وللجنيد فى التصوف اسمع

والأشعرى فى العقائد اتبع. أى اتبع الأشعرى فى العقائد الدينية واتبع منهاجه فيها. وهو أبو الحسن الأشعرى أول من تصدى لتحرير عقائد أهل السنة وتخليصها ودفع الشكوك والشبه عنها وإبطال دعوى الخصوم، وجعل ذلك مفردًا بالتدوين، ومذهبه وسط بين موقف السلف وتطرف من خالفهم. ولما قرر العقائد على أصول النظر ارتاب فى أمره الأولون، وطعن كثير منهم على عقيدته. ونصر مذهبه جماعة من أكابر العلماء كأبى بكر الباقلانى والاسفراينى وغيرهم وسموا مذهبه مذهب أهل السنة والجماعة - فانهزم أمامهم الواقفون عند الظواهر، والجارون خلف ما تزينه الخواطر. والأشعرى ولد سنة مائتين وسبعين وتوفى سنة ثلاثمائة وثلاثين ونيف.

وللجنيد فى التصوف اسمع: ونعتقد أن الإمام أبا القاسم الجنيد سيد الصوفية علماً وعملاً وأن طريقه طريق مقوم خال من البدع دائر على التفويض والتسليم والتبرى من النفس مبنى على الاتباع للكتاب والسنة. قال القشيرى: الجنيد سيد هذه الطائفة وإمامهم-أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج وكان فقيهًا على مذهب أبى ثور، وكان يفتى فى حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة. صحب خاله السرى والحارث المحاسبى ومحمد بن على القصاب. مات سنة سبع وتسعين ومائتين. ومن كلامه: العارف من نطق عن سرك وأنت ساكت، وقال: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات. وقال: الطرق مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ. وقال: مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة. وقال أبو بكر العطوى: كنت عند الجنيد حين مات ختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله تعالى.

من أدعية النبي ﷺ

دعاء ورجاء

يا ربنا موتا على الإيمان من قبل أن ترفع للقرآن
واسلك بنا مسالك الأخيار واجعل لنا الفردوس في الأبرار

تقدم في علامات الساعة الكلام على رفع القرآن، قال القرطبي : وإنما يكون هذا بعد موت عيسى، وبعد هدم الحبشة الكعبة . وعلى الحازم أن يحفظ هذا الدعاء الكريم، الذي كان يدعو به ﷺ . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه : **«اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»** قال الترمذي : حديث حسن . وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : **«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن :سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»** .

شهادتا الإسلام وما بهما من أحكام

وكل ما أسلفت من أحكام تجمعه شهادتا الإسلام

بعد أن شرحت العقيدة الإسلامية الصحيحة التي لا يقبل الله عملاً إلا من معتقدها ـ ذكرت أن **كل هذه الأحكام المقدمة المفصلة جمعتها شهادتا الإسلام مجمله**، وذكرت بعض أسرار المداومة على ذكر هذه الشهادة مع الأدب وأن عقبات الوصول لا تقطع إلا بها . فأشرت بهذا البيت إلى أن **كل الأحكام : الإلهيات والنبويات والسمعيات تجمعها شهادتا الإسلام. لا إله إلا الله . محمد رسول الله** . وبيان ذلك أنه يثبت من الكلمة المشرفة ـ للإله وصفان : الأول استغناؤه عن كل ما سواه والثاني افتقار كل ما عداه إليه، ولسيدنا محمد ﷺ وصف الرسالة . ثم إنه يدخل تحت الأول ثمان وعشرون عقيدة وهي : الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام

بالنفس، والسمع ،والبصر ، والكلام، وكونه تعالى سميعًا وبصيرًا ومتكلمًا، ونفى الغرض ، ونفى وجوب الفعل، ونفى تأثير غيره بقوة خلقت فيه، فتلك أربع عشرة عقيدة وأضدادها مثلها، ويدخل تحت الثانى إثنتان وعشرون عقيدة وهى : القدرة ، والإرادة، والعلم والحياة، وكونه تعالى قادرًا، ومريدًا، وعالمًا، وحيا ، والوحدانية، ونفى التأثير بالطبع وحدوث العالم ، فتلك إحدى عشرة عقيدة وأضدادها مثلها فتلك اثنتان وعشرون عقيدة تضم للثمانى والعشرين فتلك خمسون عقيدة يدل عليها الصدر[1]، ويدخل تحت العجُز ست عشرة عقيدة وهى : الإيمان بسائر الرسل والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر والصدق والأمانة والتبليغ وجواز الأعراض البشرية ، فتلك ثمانية وأضدادها ثمانية أيضًا فتلك ست عشرة عقيدة تضم للخمسين فتلك ست وستون عقيدة تدخل كلها تحت قولنا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . أ هـ . الشيخ عليش عن ابن سعيد التونسى .

فرطب اللسان بالشهادة ... فإنها المجاز للسعادة

لما تضمنت هذه الكلمة سائر عقائد الإسلام ـ جعلها الشارع ترجمة لما فى القلب ولم يقبل الإسلام إلا بها. ومن ثم كانت أفضل . الأذكار قال ﷺ: **«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله»**. وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة ولذلك اختارها السادة الصوفية فى السلوك إلى الله تعالى على غيرها من الأذكار ولا شيء أقرب لصفاء القلب من كثرة ذكر لا إله إلا الله مع الآداب التى ذكرها أهل الله . ومتى ترك الذاكر الآداب أو أكثرها بعد عليه الوصول إلى مطلوبه .

آداب الذكر: والآداب إما قبلية أو مصاحبة أو بعدية .

فالقبلية: أن يجدد التوبة مما وقع فيه من المخالفات أو الخواطر الرديئة، وأن يتطهر من الحدث والخبث، وأن يتوجه إلى الله تعالى برغبة ليحصل له الجمعية فى الذكر، وأن يستغفر الله تعالى بما تيسر بأى صيغة كانت وأن يصلى على النبى ﷺ كذلك، وأن يستقبل القبلة لأنها أفضل الجهات، وأن يستحضر شيخه ليكون رفيقه فى السير ثم يشرع فى الذكر .

(1) الصدر : صدر الشهادتين وهو (لا إله إلا الله)

وأما الآداب المصاحبة له: فأن يستحضر معناها إجمالاً، ويمد ألف (لا) مدًامتوسطًا وأن يحقق الهمزة ويمد لام (إله) مداً طبيعياً ويفتح ها (إله) فتحة خفيفة - ويمد لام (الله) مدا طبيعياً ويأتى بالهاء من (الله) ويقف عليها. وأن يذكر بهمة وقوة وأن يكون ذكره رغبة فى مرضاة الله ومحبته، امتثالاً لأمره لا لرياء ولا لسمعة ولا لأمر دنيوى أو أخروى، وأن ينفى الأكوان من قلبه لأن ملاحظة شيء منها قاطع عن الله تعالى ولولا أن للشيخ مدخلاً فى السير ما سوغوا له ملاحظته فى حال البداية، وأن يجلس كجلوسه فى التشهد إلا لتعب فيجوز التربع، وأن يغمض عينيه لأن له تأثيراً فى تنوير القلب وأن يبتدى بـ (لا) جهة اليمين ويرجع بـ (إله)، ويختم بـ (الله) جهة اليسار مشيراً إلى قلبه فإذا أراد ختم الذكر ختمه بمحمد رسول الله ﷺ.

وأما الآداب البعدية: فإنه يسكت ويسكن بخشوع فإن للذكر واردات ترد على قلب الذاكر، ولا يتمكن الوارد من القلب إلا بذلك فإذا كان الوارد وارد زهد وجب التمهل حتى يتم ويتمكن من القلب فتستوى عنده الدنيا أقبلت أم أدبرت، وإذا كان وارد توكل صار بعد ذلك مفوضًا أمره إلى ربه فى كل شيء، وإذا كان وارد صبر صار بعد ذلك لا ينزعج من تفاقم الأهوال، وهكذا من الواردات. قال الإمام الغزالى: ولهذه السكتة آداب: مراقبة الله، وإجراء معنى الذكر على قلبه، ونفى الخواطر كلها، وجمع حواسه كلها بحيث لا تتحرك منه شعره كحال الهرة عند اصطياد الفأرة، وأن يكتم نفسه بقدر الطاقة مراراً أقلها ثلاثة إلى سبعة حتى يدور الوارد فى جميع أركانه، وأن لا يبادر بشرب الماء عقب الذكر فإنه يطفيء ما تحصل من أنواره.

وأقـرب الطرق إلى الوصـول للواحـد المهـيـمن الجليل

أقرب طرق الوصول إلى الله الإكثار من ذكر لا إله إلا الله وبها نيل الكمالات النفسية والرتب الإسلامية التى أدناها لوم النفس على ما صدر منها من مخالفات، وأعلاها رتبة الصديقية ينالها العبد بعد دخوله فى مقام الإحسان، **وهو أن تعبد الله كأنك تراه**، ورتبة الصديقية فى نفسها مراتب متفاوتة بعضها أعلى من بعض وأعلاها رتبة أبى بكر الصديق رضي الله عنه فمقام الصديقية مقام الولاية الكبرى والخلافة العظمى.

وهذا المقام تترادف فيه الفتوحات وتعظم التجليات وتتم المشاهدات والكشوفات لكمال النفس وحسن صفاتها ولا يمكن الوصول إليه إلا بعد الفناء وهو زوال صفات النفس المذمومة بالكلية حتى لا تصير ملتفتة إلى شيء منها بل تزهدها كما تزهد أكل الجيفة مثلا، وصفاتها المذمومة هي الحسد والحقد وحب الجاه والصيت والمحمدة والرياسة والشهوات والكبر والرياء، والعجب والغرور والنفاق، وبغض أحد من الخلق لغير غرض شرعي ونحو ذلك. فإذا زالت عنه هذه الأوصاف القبيحة ـ اتصف بأضدادها من الصفات الحميدة كالشفقة والرأفة على الخلق حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه والإخلاص وحسن الخلق والسخاء والمسكنة التي طلبها النبي ﷺ بقوله: «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين» وهذه المسكنة هي خضوع النفس لمقام الألوهية، وخفض الجناح للبرية حتى لا يشم صاحبها للرياسة رائحة، وصاحبها هو العبد الحقيقي الصديقي فمن لم يتصف بها لم تخل نفسه من منازعة الحق في أخص أوصافه لأن الرياسة إنما تكون لله تعالى، وهي لا تفارق الإنسان إلا بعد المجاهدة الكبرى، ولذا قالوا: آخر ما يخرج من قلب الصديقين حب الرياسة ولا يسهل الوصول إليها عادة إلا بمداومة ذكر لا إله إلا الله ليلا ونهارا مع تعلق القلب بالله وحده والجوع والسهر والاعتزال عن الناس والصمت إلا عن ذكر الله وتجديد التوبة والشكر والصبر والفكر والشيخ العارف، وهذا هو المسمى بالمجاهدة. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:69]. وهذا الترقي هو المسمى بالسلوك إلى ملك الملوك عند الطائفة.

وأما السير إلى الله تعالى: فهو توجه القلب إلى الرب مع مخالفة النفس في شهواتها ولو مباحة طلبا لمرضاة الله تعالى، وإيثاراً له على ما سواه، فالسير كالسبب في السلوك. وقد يطلق السلوك على المعنى الثاني أيضاً.

والسلوك إلى الله تعالى طريقة النبيين والصديقين والعلماء العاملين إلا أنه مختلف. فسلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبدؤه الترقي من نفوس مطهرة كمالية إلى مالا نهاية له من المقامات الإحسانية وهو في نفسه متفاوت؛ فسلوك أولي العزم منهم أعلى وأجل من سلوك غيرهم وسلوك سيد أولي العزم عليه وعليهم الصلاة والسلام أعلى من غيره إذ مبدؤه نهاية غيره.

وأما سلوك غيرهم فمن نفوس أمارة ظلمانية أو لوامة - إلى نفس كاملة صديقية، والنهايات تختلف في الإشراق بحسب اختلاف البدايات فبإحراق البداية يكون إشراق النهاية.

النفس وصفاتها

والأنفس السبعة بالصفات	ليست سوى واحدة بالذات
أمارة لوامة ملهمة	ومبدأ الوصول مطمئنة
راضية مرضية، والكامله	أكمل بها دامت له معامله

النفوس السبعة: والنفس سبعة [1] بحسب أوصافها وإلا فهي واحدة بحسب ذاتها . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النفوس، وسأوردها عليك بسماتها لتكون على بينة منها والله الهادي سواء سبيل.

الأولى: النفس الأمارة بالسوء:

وقدأشير إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53].

ومن هذه النفس تبدأ المجاهدة للعامة فإنها لا تأمر صاحبها بخير خالص لوجه الحق سبحانه وتعالى فتدفع صاحبها إلى تحصيل الشهوات والانغماس في الملذات، حتى يكون أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان. وصاحب هذه النفس إذا حفه الله بلطفه وتوجهت إليه عنايته توجه إلى مجاهدتها في الله، وحاول إيقافها عند ما حده مولاه، فإذا زلت به القدم جرد عليها سيف الندم، ولامها كل ملام على ما فرط منها من آثام. فإذا أحس بوخز قلبه عند عصيان ربه وأخذ يتوب إلى مولاه مما جناه فليوقن أنه ارتقى إلى المنزلة الثانية منزلة النفس اللوامة.

الثانية: النفس اللوامة

وقد أشير إليها بقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 2،1]، وهذه النفس التي يدركها الألم كلما قارفت، ويلومها ربها إذا أخطأت جهادها

---

(1) عند الخلوتية وأما عند الشاذلية فثلاثة أمارة ولوامه ومطمئنة فأدخلوا الملهمة في اللوامة وأدخلوا الراضية والمرضية والكاملة في المطمئنة وذلك أن اللوامة إذا كثر منها اللوم اشتغلت بعيوبها عن غيرها وهي الملهمة، وأن المطمئنة إذا ترقت رضيت عن الله فجوزيت بالرضا عنها فإذا زاد ترقيها كملت.

بتوجيهها إلى الأعمال الصالحة المشروعة فتميل إلى عالم القدس فيظهر لها شيء من أنوار الإسلام فتستلهم صلاحها وتقواها، وبذلك ترتفع إلى المرتبة الثالثة مرتبة **النفس الملهمة** .

الثالثة: النفس الملهة

المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:8]، وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية الدقيقة من الرياء والعجب وغير ذلك فإذا لازم المجاهدة حتى زالت عنها الشهوات وتبدلت الصفات المذمومة بالمحمودة، وتخلقت بأخلاق الله تعالى الجمالية من الرأفة والرحمة واللطف والكرم والود سميت **مطمئنة** .

الرابعة: النفس المطمئنة

وهذا المقام هو مبدأ الوصول إلى الله تعالى، ولكنها لا تخلو من دسائس خفية جدًا كالشرك الخفي وحب الرياسة إلا أنها لخفائها ودقتها لا يدركها إلا أهلها الذين نور الله بصائرهم ـ لأن ظاهرها الصلاح والاتصاف بالصفات الحميدة من الكرم والحلم والتوكل والزهد والورع والشكر والصبر والتسليم والرضا بالقضاء مع انكشاف بعض أسرار، وانخراق بعض عادات وظهور بعض كرامات ـ فقد يظن صاحبها أنه الإمام الأعظم وأنه على غيره المقدم، وهذا من جملة الدسائس ـ فإذا أدركته العناية الإلهية واستند إلى شيخه بالكلية، ولازم المجاهدة حتى تمكنت منه الصفات الكريمة وصارت نفسه ذليلة ولم يبق فيه شيء من الرياء واستوى عنده الذم والثناء، ودخل فى مقام الفناء ورضى بكل ما يقع فى الأرض من غير إعتراض أصلاً سُميت **راضية وهى المنزلة الخامسة** .

ولكن رؤية الفناء والإخلاص ربما أوقعاه فى شيء من الإعجاب فيرجع به القهقرى فليستعذ بالله من ذلك مع مداومة الذكر والالتجاء إلى الله، وملاحظة أنه لم يتم له الخلاص إلا بمدد الشيخ، فإذا فنى عن الفناء وخلص من رؤية الإخلاص تجلى عليها بالرضا وعفا عن كل ما مضى وتبدلت سيآتها حسنات، وانفتحت لها أبواب الأذواق والتجليات فصارت غريقة فى بحار التوحيد، وآنستْها بلابل الأسرار بالتغريد، ولذا سُميت **مرضية** لأنها بعناية الله مرعية **وهى المنزلة السادسة** إلا أن صاحب الهمة العلية لا يرضى بالوقوف عند هذه المقامات وإن كانت سنية، بل يسير

من الفناء إلى البقاء ويطلب تمام اللقاء فإذا بلغ منازل الأبطال وخلف الدنيا وراء ظهره ناداه ربه بأحسن مقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 30:27]، فيدخلها ربها في عباد الإحسان ويخلع عليها خلع الرضوان، ويدخلها جنات الشهود ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55]، وفي هذا المجال تمت المجاهدة والمكابدة لأن صفات الكمال أصبحت خُلقًا للنفس تصدر بسهولة ويسر وتسمى النفس فيه بالكاملة وهي المنزلة السابعة، وهي أعظم النفوس قدرًا وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادات لأنها صارت طبعه إما باللسان وإما بالجنان وإما بالأركان فحركاته حسنات وأنفاسه عبادات، فهو محفوظ من المخالفات لحضوره دائمًا مع الله في جميع الحالات، وأعلم أن الكاملين في الناس من أقل الأقل إذ السالكون إلى الله تعالى من المؤمنين قليلون، والواصلون منهم قليلون والكاملون منهم قليلون إذ السير إلى الله تعالى صعب جدًا لا يقدر عليه إلا ذو همة علية، وصدق كامل إذ ترك المألوفات من الطعام والمنام وجمع المال وحب الجاه وسائر الشهوات لا يقدر عليه إلا القليل من الأبطال والطريق فيها مفاوز ومهلكات وأهوال، فالناجي فيها قليل، والله المسئول أن يوصلنا إليه فإنه ولي ذلك والقادر عليه، بفضله ورحمته. أ. هـ. الإمام الدردير في شرح خريدته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الختـــام

وهـذه عقيـدة الخطيـب	يرجـو لها القبول من مجيـب
والنفع للأحباب والأعداء	والحمـــد من بدء إلى انتهـاء
ودائـم الصلاة والسلام	علـى النبـى المصطفى السلام
وآله وصحبـه الكـرام	مــادام ذو الجلال والإكرام

فائدة: لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفًا، وحكمة هذا العدد أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فكل حرف يكفر ذنوب ساعة، وكانت حروفها كلها جوفية، وليس فيها حرف من الحروف الشفوية للإشارة إلى أنه ينبغى الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب لا من الشفتين فقط، ولم يكن فيها حرف معجم بل كلها مجردة عن النقط إشارة إلى أنه ينبغى لمن نطق بها أن يتجرد عن كل ما سواه تعالى. قال الفخر الرازى: وإنما كانت سبع كلمات لأن المعصية لا تكون إلا من الأعضاء السبعة: الأذنان، والعينان، واللسان، واليدان، والبطن، والفرج والرجلان؛ وأبواب جهنم سبعة فكل كلمة منها تكفر معصية عضو وتسد بابًا من أبواب جهنم بفضل الله وبرحمته. والله المسئول أن يثبتنا بقولها وينفعنا بفضلها ويجعلنا من خيار أهلها وأن يغفر لنا ما مضى من الزلات، ويحفظنا فيما بقى من السيئات وأن يرزقنا العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة وأن ينفع بها الأحباب والأعداء إنه سميع الدعاء ومولى العطاء بجاه النبى صلى الله عليه وسلم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله وتوفيقه يوم الجمعة 25 من ذى القعدة سنة 1374 هـ.

محمد خليل الخطيب النبدى

إصدار مارس عام 2006 م
تحت إشراف
فضيلة الشيخ محمود محمد خليل الخطيب
رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

عقيدة الخطيب

وهى عقيدة أهل السنة والجماعة ولا يفتح الله إلا على معتقدها

(لفضيلة الشيخ الإمام محمد خليل الخطيب النيدى من علماء الأزهر الشريف)

قال محمد الخطيب النيدى ... الحنفى الأشعرى الجنيدى

الحمد لله على التوحيد ... للخالق المهيمن الحميد

ودائم الصلاة والسلام ... على إمام الرسل الكرام

من جاء بالإسلام دين آدم ... ومن قفاه من هداة العالم

وكلهم نوابه إلى الأمم ... وسبقهم سبق الجنود من حكم [10]

دعا لما تدعو له الأحلام ... وفيه ما تصبو له الأنام [12]

وما لمن لم يأت بالإسلام ... مولاه فى أخراه من سلام [14]

أركانه الشهادة الصلاة ... والحج والصيام والزكاة [14]

هذا، وتعريف أصول الدين ... ما يلزم اعتقاده فى الدين [24]

العالم الحادث، لا الإله ... سبحانه منفردا أنشاه [25]

هو القديم لا ابتداء لا انتهى ... وذاته ليست تحاكى غيرها [25]

وكل ما يخطر فى الأوهام ... فغير ذى الجلال والإكرام [25]

أوصافه حياته والقدرة ... علم وسمع بصر إرادة [26]

كلامه، وكلها قديمه ... والضد والنقص محال ديمه [26]

سبحانه من واحد عليم ... خلا عن الحلول والتجسيم [29]

وأوِّل النص الذى قد أوهما ... تشبيهه أو فوضن معظما [31]

وجائز فى حق ذى الإحسان ... إيجاد أو إعدام ذى الإمكان [32]

الأرقام التى آخر الأبيات أرقام شرحها فى الكتاب.

ولا يرى غير الذى قدره … فى ملكه فجل من دبره [33]

وقد يجود الله بالغفران … لغير ذى كفر من العصيان [36]

وغير باق فى العذاب العاصى … ولو أتى بأكبر المعاصى [36]

أشد سكان الجنان فقرا … نصيبه منها كدنيا عشرا [36]

وأرسل الرسل مؤيدينا … بخارق العادات معصومينا [37]

وواجب للرسل الأمانه … والصدق والتبليغ والفطانه [37]

ويستحيل الكذبُ والعصيانُ … والعيب والغفلة والكتمان [37]

وجائز فى حقهم ما لا يرى … نقيصة ولم يكن منفرا [38]

وكتبه التوراة والإنجيل … وصحفه زبوره الجليل [40]

قرآنه، وحرفت سواه … سبحان ربى آية أبقاه [40]

ما أتى للأنبياء معجزه … كرامة للأولياء مبرزه [45]

من فعل مولانا القدير الحى … لذى وفاة منهمو وحى [45]

لنفسه وغيره اختيارا … وتنتفى وتظهر اضطرارا [47]

وعادة الخلاق فى المسبب … مجيئه على وزان السبب [47]

فقائم منها، وذو اعوجاج … بالميل أو بالعدل فى المنهاج [47]

وما أباه الشرع من خوارق … وهم وتخييل وفعل مارق [48]

وغالبا تنال باكتساب … وقد تكون منحة الوهاب [50]

ولا تنافى الزلة الولايه … وقد تزول فارجه الوقايه [50]

وقل سلاما منك ذا الإنعام … من ختم برصيصاء أو بلعام [51]

وإن أسمى ما ينال الأوليا … لدون أدنى ما ينال الأنبيا [53]

بل إن ما أوتوه مثل قطرة … قد رشحت من أبحر النبوة [53]

والأنبياء مثلهم في النسبة ... لختمهم إمام كل أمة[54]

وكل ما نالوه من أسرار ... أساسه وساطة المختار[54]

فاشغف به، وأسلك سبيل ربه ... فقدر سر المرء قدر حبه[55]

ومن عصاه والولاية أدعى ... ولو أتى بالخارقات انخدعا[57]

وكل من خالف من سوّاه ... فإنه متبع هواه[57]

ومن يخالف شرعه الذى ظهر ... ويستحل فعله فقد كفر[57]

ولم يكن خليفة الرحمن ... لكنه خليفة الشيطان[58]

فاحذر وحذر منه من عرفتا ... وإن به اتصلت تلق المقتا[58]

ولا تخف من جنه المستخدم ... فأنت ذو عون من المنتقم[58]

ومن غدا بباطن يحتج ... فإنه في باطل يلج[60]

فما لغير الظاهر انتهاج ... شرعا، ألم يقتل به الحلاج[60]

ولا تخف إن تصف منك النيه ... في الاعتراض منهمو أذيه[61]

فمن دفعت عنه يدفع عنكا ... وهو أشد في الدفاع منكا[61]

ولا تلم من لم يكن بالصاحى ... فما على المأخوذ من جناح[61]

ولا تخالطه فما يجديكا ... وقد ترى منه الذى يرديكا[61]

ومن يقل ولم يجن سقطا ... تكليفه فإنه قد سقطا[63]

وإنه شر من الكفار ... وما له إلا خلود النار[63]

وكل ما جاء عن المعتقد ... في الذكر أو نقل الثقات اعتقد[65]

مثل سؤال القبر والعذاب ... والحشر والمعاد للحساب[65]

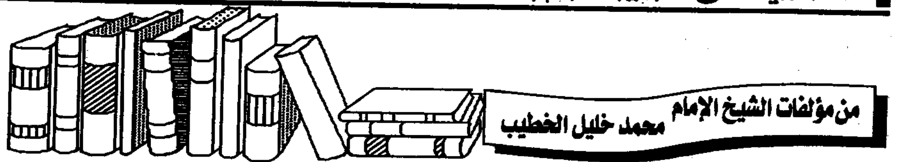
صراطه ميزانه والرؤية ... ثابتة والحوض والشفاعة[66]

نزول عيسى قرب يوم البعث ... وقتله الدجال أهل الخبث[70]

وقبله يجيئنا المهدى	كم منه إكرام وكم مهدى(72)
مبايعا كرها أمام البيت	وإنه من خير آل البيت(72)
يأجوج مأجوج طلوع الشمس	غربا وجم الفسق فسق الرأس (73)
ودابة الأرض بلا محاله	تبدى لكل دينه وحاله(74)
خراب بيت الله بالأحباش	ورفع ذكر الله شر الغاشى (75)
رجوع أهل الأرض للفجور	ومنتهاها نفخة فى الصور(76)
واجزم بمعراج الرسول الأكرم	مستيقظا بجسمه المكرم (79)
والروح باق والممات بالأجل	ولا يزيل الدين عن عبد زلل(82)، (86)
إن لم يكن مجسما أو منكرا	علم العليم كل أجزاء الورى (87)
والجنة الفيحاء فى سماه	أعدّها لكل من يخشاه (87)
وأوقد النار لمن قد أجرموا	وغيره مكانها لا يعلم (88)
وخاتم الرسل الكرام أحمد	وفضله عن غيره لا يجحد(89)
وجده الخليل إبراهيم	والروح عيسى نوح والكليم (92)
فالأنبياء فالملائك الألى	أجلهم جبريل عند ذى العلا (92)
صديق طه عمر عثمان	أبو الحسين الستة الأعيان (95)
سعد سعيد وابن عوف طلحة	وعامر الزبير، نعم الستة (95)
فأهل بدر أحد فالشجره	فكلهم فالأمة المبشرة (95)
ومن على الشيخين أو عثمانا	أعلى عليا خالف البرهانا (98)
ولا تخض فيما جرى من حرب	بينهمو واحذر سهام الرب (100)
فكلهم مجتهد عدول	والله قد زكاه والرسول (100)
وقرنه المختار والميمون	وبعده ثلاثة قرون (101)

خيـر النسـاء مـريم فـاطمـة	آسـيـة خـديجـة عـائشـة [101]
وأحـمـد مـحـمـد نعـمـان	ومـالك أئمـة أركـان [103]
والأشـعـرى فى العـقـائد اتبع	وللجنيـد فى التـصـوف اسـمع [105]
يا ربنا مـوتًا على الإيمـان	من قـبل أن ترفع للقـرآن [105]
واسلك بنا مـسـالك الأخـيـار	واجـعل لنا الفـردوس فى الأبرار [105]
وكـل مـا أسلفت من أحكام	تجـمـعـه شـهـادتنا الإسـلام [106]
فـرطب اللسـان بالشـهـادة	فـإنهـا المجـاز للسـعـادة [107]
وأقـرب الطرق إلى الوصـول	للواحـد المهـيـمن الجليل [108]
والأنفس السـبـعـة بالصـفـات	ليـست سـوى واحـدة بالذات [110]
أمـارة لوامـة ملهـمـة	ومـبـدأ الوصـول مطمـئنة [110]
راضـيـة مـرضـيـة، والكاملة	أكـمل بهـا دامت له مـعـامله [110]
وهذه عـقـيـدة الخطيب	يرجـو لهـا القـبـول من مـجـيب [113]
والنفع للأحـبـاب والأعـداء	والحـمـد من بدء إلى انتـهـاء [113]
وأفـضل الصـلاة والسـلام	على النبى المصطفى السـلام [113]
وآله وصـحـبـه الكرام	مـادام ذو الجـلال والأكـرام [113]





* تفسير الخطيب النيدى للقرآن الكريم .

* إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام 572 خطبة مشروحة منسقة حل بها مشاكل الدنيا والآخرة .

* غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب - أول كتاب يجمع شعره مشروحًا مستفيضًا لائقًا بمكانته .

* ألفية الخطيب وشرحها - أجمع كتاب فى فن الصرف .

* القصص الحق لسيد الخلق ﷺ بأسلوب النبى ﷺ مشروحه شرحًا جامعًا .

* شرح وترتيب حكم ابن عطاء الله السكندرى .

* نظم حكم ابن عطاء الله السكندرى .

* التراجم المهمة للأربعة الأئمة .

* رباعيات الخطيب .

* روضات الخطيب .

* مجامع الأنوار .

* بشرى العاشقين .

* لامية الخطيب فى الوعظ والحكم وشرحها .

* ديوان الخطيب عدة أجزاء .

* ديوان الإمام على كرم الله وجهه .

* ديوان الإمام الشافعى وشرحه .

* تشطير الخطيب النيدى للامية ابن الوردى وشرحها .

* حكم الخطيب .

* ديوان أبى الفتح البستى وشرحه .

* تقريب صحيح الترمذى وشرحه .

* صورة المجتمع الكبرى .

* من أسرار الذكر .

* الوسيلة والتوسل .

* بداية التعرف فى شرح نقابة التصوف .

* مناسك الحجاج .

* اتحاف الذاكرين .

* رسالة الجهاد .

* الفتاوى .

* مدرسة الشعراء .

* شرح أمثال القاسم بن سلام .

* وحى الحديث .

* اتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار .

* الأحاديث المختارة فى البخارى وشرحها خمسة أجزاء .

* إتحاف السادات بأحكام الصلاة والسلام على أشرف المخلوقات ﷺ وتخريج أحاديث دلائل الخيرات .

* رسالة الصيام .

* الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة .

* شرح الشمائل المحمدية للإمام الترمذى .

* حكمة الرجز .

* **هذه المؤلفات منها ما طبع ومنها ما نسأل الله العزيز أن ييسر نشره وما ذلك على فضله بعزيز .**



الفهرس